



ديوان







دار العودة - بيروت

ديوان عمر أبو ريشة

المجلد الأول

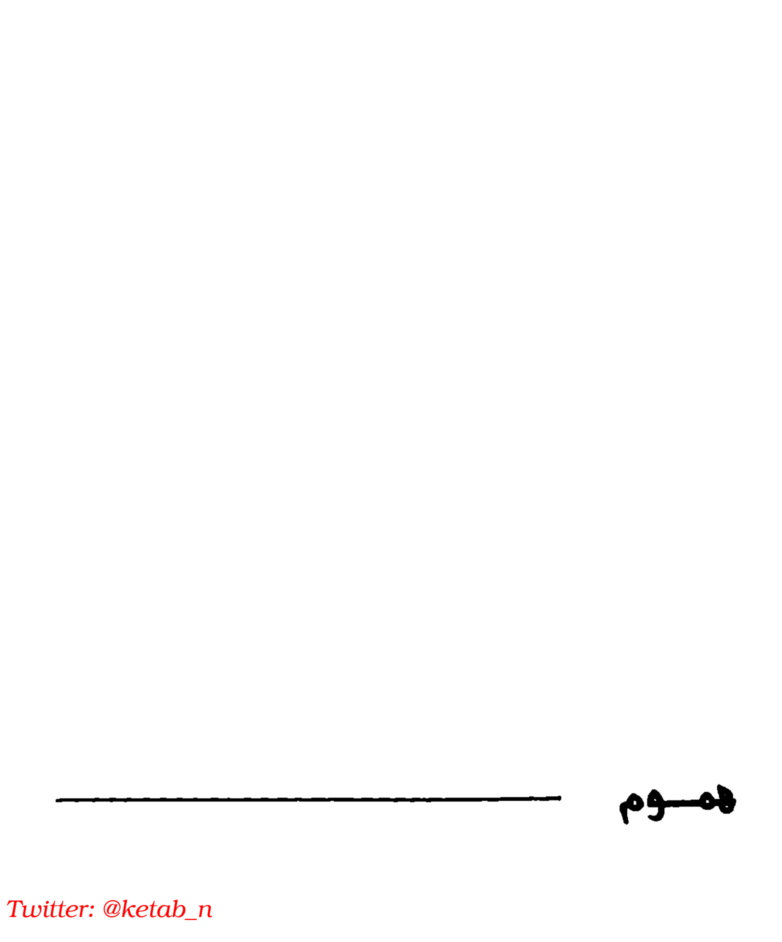


دار العودة

ديوان
عمر ابو ريشة

١٩٩٨

يطلب من دار العودة ـ بيروت
كورنيش المزرعة ـ بناية ريفييرا سنتر
تلفون: ٨١٨٤٠٥ ـ ٨١٨٤٠٦
ص. ب: ١٤٦٢٨٤ / برقياً: العودة


همـوم

بعد النكبة

«مقاطع من قصيدة»

أمتي ، هل لك بين الأممِ
منبرٌ للسيف أو للقلمِ

أتلقاكِ وطرفي مطرقٌ
خجلاً من أمسك المنصرم

ويكاد الدمع يهمي عابثاً
ببقايا كبرياء الألم !

أين دنياك التي أوحتْ إلى
وتري كلَّ يتـــيم النغم

كم تخطّيتُ على أصدائـــه
ملعبَ العـــز ومغنى الشمم

وتهاديتُ كأني ساحبٌ
مئزري فوق جبـــاه الأنجم

* * *

أمتي ! كم غصةٍ داميةٍ
خنقتْ نجوى علاك في فمي

أيُّ جرح في إبائي راعـــف
فاته الآسي ، فـــلم يلتئمِ

ألاسرائيـــل تعلو رايـةٌ
في حمى المهدِ وظلّ الحرم !

كيف أغضيتِ على الذل ولم
تنفضي عنـــك غبـار التُّهم

أوما كنتِ إذا البغي اعتدى
موجةً من لهـبٍ أو من دم

فِيمَ أقدمتِ ؟ وأحجمتِ ولم
يشتفِ الثـــأرُ ولم تنتقمي

إسمعي نوحَ الحزانى واطربي
وانظري دمع اليتامى وابسمي

ودعي القـــادةَ في أهوائهـــا
تتفانى في خسيس المغـنم !

ربَّ « وامعتصماهُ » انطلقتْ
مـــلءَ أفواه البنات اليُـتَّم

لامستْ أسماعَهـــم لكنَّها
لم تلامسْ نخوةَ المعتصمِ !

أمتي ! كم صَنمٍ مجَّدْتِـــه
لم يكن يحمل طهرَ الصَّـنمِ !

لا يلام الذئبُ في عدوانـــه
إن يك الراعي عدوَّ الغنم !

فاحبسي الشكوى فلولاك لما
كان في الحكم عبيد الدرهمِ !

* * *

أيها الجندي يا كبش الفدا
يا شعاع الأمل المبتسمِ

ما عرفتَ البخل بالروح إذا
طلبتها غصص المجد الظمي

بورك الجرحُ الذي تحمله
شرفاً تحت ظلال العلم !

١٩٤٨

ربِّ طوّقتَ مغانينـــا
جمـــالاً وجـــلالا

ونَـثرْتَ الخـــيرَ فيهنّ
يمينـــاً وشمـــالا

وتجـلـيتَ عليهـــنّ
صليبـــاً وهلالا !

ربِّ ، هذي جنــةٌ ـ

الدنيا ، عبيراً وظلالا

كيف نمشي في رباهــا

الخضر ، تيهاً واختيالا

وجراحُ الذل نخفيها

عــن العزِّ احتيالا

ردَّها قفراءَ ، إن

شئتَ وموِّجْهــا رمالا

نحنُ نهواها على الجدب ...

إذا أعطتْ رجــالا !!

١٩٤٨

عاتبتِـهِ ونسيتِ طيبَ نجارهِ
وأبيتِ أن تصغي إلى أعذارهِ

تلك البقيةُ من سلافــــة حلمه
نضبتْ ولم تنقع غليلَ أواره

أوما لمحتِ على كآبة صمته
ما شقت الأقدارُ من أستاره

كانت له خيلاؤه ، أيـــامَ لم
تهتكْ بناتُ الدهر حرمةَ داره

أين انطلاق خياله في ملعب
روّى الجفونَ الرمدَ من أنواره

كم نجمةٍ وثبتْ لتلثمه فـلم
تظفرْ به ، فتعلقتْ بإزاره

ولـكم تموّج في صداه نديّـه
والعزُّ بين يديه من سُمّـاره

غنـّى عريقَ فخاره حتى أتت
دُهمُ الخطوبِ على عريق فخاره

فذري العتاب فلن يهزك لحنه
ما دام مغموساً بذل إساره

لو شاء بثَّ شجونهِ لتكسرتْ
منها أصابعــــه على أوتاره

وطنٌ أذاب على هواه شبابَه
وحباه بالمأثور من أشعاره

ألمجد يخجل أن يجيلَ الطرفَ في
مـا هدَّم الجبناء من أسواره

فكأنه من نيله لفراتـــه
حَمَـلٌ تجاذبه يدا جزّاره !

ما ذنبُ فتيته إذا شبَّتْ ولم
تلمحْ بتربته خُطى أحراره

تركتْ لها آباؤها الارثَ الذي
يبقى مطوِّقَها بلعنة عاره

هل في روابي القدس كهفُ عبادةٍ
تحنو جوانبه على أحباره

خشب الصليبِ على الرمال مخضَّبٌ
بدماء من نعموا بطيب جواره

فاذا سبيلُ الحق منفضّ الصوى
تاهتْ به الطلقاء من زُوّاره

وإذا قوافله العِجافُ طريدة

والبغيُ يقذفها بمــــارج ناره

كم مُتعبٍ جرَّ السنينَ وراءه

ومشيبُـه يبكي جلالَ وقاره

متلفّتاً صوبَ الديار مودعاً

وخطـــــاه بين نهوضه وعثاره

كم حُرَّةٍ لم تدرِ عينُ الشمسِ ما

في خدرها ، أغضتْ بطرف كاره

وبناتها وجلى ، تضج أمامها

والرجس يدفعها إلى أوكاره

بمن استجارت هذه الزُّمرُ التي
مدَّ الزمانُ لها يدَ استهتاره

العُرْيُ ينشرها على أنيابه
والجوع يطويها على أظفاره

فلربَّ سكّيرٍ شدا مترنحاً
ودموعها ممزوجةٌ بعقاره

ولربَّ متلافٍ أشاح بوجهه
عنها ، وملء البيد سيل نُضاره

حسبت بناء العرب مسموكَ الذرى
تتحطم الأحداثُ دون جداره

فاذا البُناةُ على ذليل وسادها

تغفو عن الشرف الذبيح وثاره !

. . .

مهلاً حُماةَ الضيمِ إن لليلنا

فجراً ، سيطوي الضيم في أطماره

ما نام جفنُ الحقد عنك وإنما

هى هدأةُ الرئبالِ قبل نفاره

١٩٤٨

تتساءلين ... على مَ يحيا
هؤلاء الأشقياءْ ..!
المتعبونَ ودربهمْ
قفرٌ ومرماهم هباءْ
الذاهلونَ الواجمونـَ
أمـام نعش الكبرياءْ !
ألصابرون على الجراح

ألمطرقونَ على الحياءْ !

أنستهمُ الأيامُ ، مـــا

ضحكُ الحياةِ وما البكاءْ

أزرتْ بدنياهمْ ، ولم

تتركْ لهم فيها رجاء

تتساءلين .. وكيف أعلمُ

ما يَروْن على البقاء ؟!

إمضي لشأنك ..

أسكتي ..

أنا واحدٌ من هؤلاءْ !

١٩٧٠

بسمة التحدي

- هكذا يمضي شهيدنا -

يبسم .. من علّمه
كيف يطيب الألمُ

سلاحه على الثرى
مبعـــثرٌ محطّمُ

وصدره ممـــزقٌ
يسيل فوقه الدم

وحوله أعـــداؤه

تلعنـــه وتشتمُ

تُمعن في تعذيبه

لعلّـــه يستسلمُ

أو ينثني عن زهوه

بقوله : أسترحمُ

أزرى بذلّ حقدها ..

ومات..وهو يبسمُ

١٩٧٠

هكذا

« في ليلة واحدة انفق أحد رعايا المحميات البريطانية ستين الف دولار على عشيقته .. »

صاح يا عبدُ .. فرفّ الطيبُ
واستعر الكاسُ وضجّ المضجعُ!

منتهى دنيـاهُ ، نهـدٌ شَرِسٌ
وفمٌ سمحٌ ، وخصرٌ طيّـعُ

بـدويٌّ ، أورقَ الصخرُ له
وجرى بالسلسبيل البلقـع

فاذا النخوة والكِبرُ على
ترف الأيام جرحٌ موجع ..

هانت الخيلُ على فرسانها !
وانطوتْ تلك السيوف القُطَّع

والخيام الشمُّ مالتْ ، وهوتْ
وعوتْ فيها الرياحُ الأربع

. . .

قال .. يا حسناء ما شئتِ اطلبي
فكلانا بالغوالي مولع

أختكِ الشقراء ، مدَّت كفَّها
فاكتسى من كل نجمٍ إصبع !

فانتقي أكرمَ ما يهفو له

معصمٌ غضٌّ وجيد أتلع !..

وتلاشى الطيب من مخدعه ...

وتولّاه السباتُ الممتع

والذليل العبد ، دون الباب ،

لا يغمض الطرفَ ولا يضطجع !

والبطولات ، على غربتها ،

في مغانينا ، جياعٌ خُشّعُ

هكذا .. تُقتحم القدسُ على

غاصبيها .. هكذا تُسترجع !!

١٩٥٤

أمضي ويذهلـني طلابي
عني ، وعن دنيا شبابي

أمضي ! ويسألني الربيع
ولا أجيبُ ، متى إيابي

أمضي ! وما روّتْ فمي
كاسي ولا أفنتْ شرابي !

بيني وبين الموت ميعادٌ
أحثُّ له ركابـــي

عبِقٌ بأنفاس النعيم
السمح والمجـــد اللبابِ

أ. ري على إيمائـــهِ
والحقد يسري في إهابي !

هذي الربوع ربوع آبائي
وأجـــدادي الغضـابِ

عطـّرْ ، فداك العمر ، يا
ميعادُ من جرحي ترابي

فلسوف تُركز فيه أعلامي

وتحرسها حـــــرابي !!

١٩٥٢

ربَّ ضاقتْ ملاعبي
في الدروب المقيَّدهْ

أنا عمرٌ مخضّبٌ
وأمانٍ مشـــردهْ

ونشيدٌ خنقتُ في
كبريائي تنهُّـــدَهْ

ربَّ ما زلتُ ضارباً
من زمـــاني تَمرُّدَهْ

صغر اليأسُ لن يرى
بين جفنيّ مقصده

بسماتي سخيَّـــةُ
وجراحي مضمـــده
١٩٦٩

حكاية سمار

ألقيت في مهرجان أمير الشعراء « الأخطل الصغير في قاعة اليونسكو ، باسم الجمهورية العربية المتحدة ، أيام كان الشاعر سفيراً لها في النمسا .

هل في لقائكَ ، للخيال الزائرِ
إغضاءُ سالٍ ، أم تلفُّتُ ذاكرِ !

أشقتْهُ غربتُه ووثبـــةُ ظلِّهِ
عبرَ الأصيلِ .. على ثراكَ العاطر

وحكاية السُّمّارِ عن أوتاره
المتقطعاتِ وشملِهِ المتناثرِ !

كنتَ الحفيَّ به .. وكان ولاؤه
وهواكَ ، قادمتيْ جناحيْ طائرِ

كم في نديِّك من شموع شبابه
ما ذابَ بين مزاهرٍ ومجامرِ !

لا تجرحنَّ له بقيَّةَ زهوةٍ
إن لم يهزَّك بالطريف النادرِ

عبثُ الليالي لم يدع في حقله
إلاَّ اذِّكارَ خمائلٍ وأزاهرِ !

لبنان .. جئتك من غيابات السّرى
ويدي على دقـــات قلب حائرِ

وحفيف أشباح الونى في مسمعي
ورفيف أطيـاف المنى في ناظري

واذا عروس .. ما استقر رواؤها
إلا على متبـــاينٍ متنـــافرِ

بسمت إليّ .. وما سمعت للمـّتي
الغبراء همسـةَ وازعٍ أو زاجرِ

من أنتِ قلتُ لها .. ففيك تقاتلتْ
شتىّ غوايات الفتون الآســـرِ

أقبلتِ من صدر الربيع وقلت لي :
أتحبُّني ؟ أتحبني ؟ يا شاعري

أنا بدعة الدنيا وسرُّ خلودها
هتكتْ على عُرْيِ الحياة ستائري

تتلمَّظُ الشهواتُ فوق محاجري
وتعربد اللذاتُ خلفَ مآزري

وتسلسل النعماءَ حمرُ مراشفي
وتلفُّ جيد النجم شقرُ ضفائري !

حسناء ! لا تتقربي من خاطري
طويَ البساط ونام جفنُ السَّامر !!

وفتحتِ أبوابَ الثراءِ ، وقلتِ لي :
أتحبني ؟ أتحبني ؟ يا شاعري ؟

أنا متعةُ العاني وفيْءُ دروبـــه
ومـــلاذه من كل صرفٍ غادرِ

ترمي بأكداسٍ النضار مواطئي
وتلفُّ جلبـابَ الظلام جواهري

وأقيمُ حول ركاب عمركَ أعْـبُـداً
يتسابقـون إلى نـداك الآمرِ

ـ حسناء ! لا تتلاعبي بشعائري
حسبي من الينبوعِ جرعةُ عابرِ !!

وطلعتِ من حجب الغيوب وقلتِ لي :
أتحبني ؟ أتحبني ؟ يا شاعري !

أنا فيضُ آلامٍ ووحيُ ضلالةٍ
وسرابُ أحلامٍ وقبرُ ضمائرِ !

أقتــــاتُ بالجرح السخيِّ وأشتهي
لو قبّـلت شفتايَ مديةَ ناحري !!

لا تهتدي بسنا الشموس أحبتي
وتموت دون مواردٍ ومصادرِ !

حسناء ! لا تتغيبي عن ناظري
هذي يدي .. فتصرّفي بمقادري !

لبنان ـ ما خبّأتُ عنك نوازعي
أتراكَ فيها عاذلي أم عاذري !

يُغنيك عني ، أخوةٌ ، ما غرّدوا
إلاّ وملءُ رُباك ذَوْبُ حناجرِ !

شربوا ِجمالَكَ فانتشوا ، وتأنقوا
في بثِّ نشوتهم ، تأنُّقَ قادرِ

ولربما صاغـــوا سناه أساوراً
لمعاصـــمٍ وخواتما لخناصرِ !

جمعتهمُ شيمُ الوفاء لمـــاردٍ
في الشعر جوّابِ الأعالي قاهرِ

ضفروا له من دوح أرزكَ ثمارَه
أكرمْ بمضفورٍ له وبضافرِ !

هزَّ الشذا أعطـــافَهمْ فتساءلوا
من أي مخضلِّ الكمائم ، ناضرِ

قد يذكر الندمانُ بين كؤوسهمْ
ما قـــال للعنقود سرُّ العاطرِ !

يا لليَـدِ البيضاء ! في مرِّ الندى
من زنبق في القفر نضْـوِ هواجرِ !

كم مطبقٍ بابَ الخلودِ وراءَه
وشجونُـه في الدربِ زادُ مسافرِ !

ما اعتاد هذا الشرقُ أن يُهدِي إلى
نبغائه الأحياء ، أَجْرَ مناصرِ !

. . .

أمجنِّحَ الحرف الحرون ومرقصَ
الوتر الحنون على أناملِ ساحرِ !

الذكرياتُ على الزحام تدافعتْ
فكأنهنّ لديك سرب ضرائرِ

فلأيِّها تومي براحةِ تائبٍ
ولأيِّها ترنو بمقلة غافرِ !

غامرتَ في طرق الحياة ولم تزلْ
طرقُ الحياة حوافزاً لمغامرِ

فهصرْتَ زهرَتها بدمعةِ شاكرٍ
وَعصَرْتَ شوكتَها ببسمة صابرٍ !

من كان محرابُ الجمال مطافَه
حَمَلَ الحياةَ على أكفٍّ بشائرِ

. . .

كم جولةٍ لك في الصبابة والهوى
سدَّتْ مسالكَها حبائلُ ظافرِ

ولكم تخطَّفك الخيالُ فعدتَ –
بالعشاقِ ، من حرم الزمان الغابرِ !

« عمرٌ ونُعْمٌ » يا خيامُ تلفَّتي
صوبَ العبير ويا نجوم تسامري

نثرا شفوفَ الليل حول جدائلٍ
لمعـــانقٍ وسواعدٍ لمخـاصرٍ

يا طيبَ ما اختصرا رسالاتِ الهوى
فيه ويا طيبَ الصـدى المتطايرِ !

حبٌّ ، طَوَتْـه يدُ البلى ونشرَته
وأعدْتَ ماضيه حديثَ الحاضرِ !

. . .

وشجاك، «عروةُ» وهو يسحب خلفه
في الرمل تابوتَ الشباب العاثرِ !

وخيالُ « عفراء » يمرُّ أمامه
والموتُ في ذلّ العنيدِ الصاغرِ !

فإذا مغاني البيد في ذكراهمـــا
رفَّـاتُ أهدابٍ وبوْحُ سرائرِ

أشفقتَ أن ينسى الزمانُ مكانَها
فسللْتَها من أدمعٍ ومُحاجرِ !

الحبُّ مجلى الله ، كم من عابدٍ
ساهٍ بهيكله الوضيء وساهرِ !

لبستْ عليه المجدليةُ خلعــةً
بيضاء ، باركها سماحُ النَّـاصري !

غنَّـيتَـه بجماله وجـــلاله
ورَوَتْـه عنك حرائر لحرائرِ !

ما بالُ نعمتِهِ خَبَتْ نفحاتُها
في كاسِ عربيدٍ ، ومزهرِ فاجرٍ !

نُرمى بمنسوبٍ إليه وربما
أنفتْ تلاوتَه شفاهُ عواهرٍ !!

. . .

يا مطرقاً يصغي بخشعة راهبٍ
متواضعٍ ويغضُّ جفنَ تفاخرٍ

ما زلتَ تسحبُ فوق كل معاندٍ
ذيل الشموخ وفوق كلّ مكابرٍ !

أولست؟ من نسل الأُلى ، نسلوا العلى
وكسوا دياجيرَ الورى ، بمنائرٍ

وتطلعوا صوبَ الشموس وأسرجوا
للفتحِ صهوةَ كل مهرٍ ضامرِ !

ومضوا إلى غاياتهم ، ثم انثنوْا
وعلى خدودِ النجم وشْمُ حوافرِ !

عرفتْكَ دنيا البغي صرخةَ ناقمٍ
يُزري بهيبتها وغضبةَ ثائرِ

أيامَ ، أعناقُ البلاد جريحة
بقيود نزّاز الضغينة ، جائرِ

فهززتَ عزمةَ كل وانٍ مُتعب
وأثرتَ نخوةَ كل عانٍ سادرِ

فاذا الجبال الشمُّ لفْحُ معاقلٍ
وإذا السهول الفيح نفحُ مقابر

وإذا العبودياتُ تخلع ليلَها
مِزَقاً على قدم الصباح السافرِ !

لا يُحزِنَنَّكَ ما ترى لفلولها
في القدس من راعٍ لها ومؤآزرِ

أو ما تُعبّىء في الصحارى من قنا
للقاءِ مخضوبِ الوشاحِ جزائري

أو ما تصبُّ على الخليج أكفُّها
من سودِ آثام وحُمرِ جرائرِ

هي سكرةُ المذبوح مالَ بعنقه

ونزا على السكين نزوةَ خائرٍ !!

أرأيتَ كيف تجمَّعتْ هَبَواتها

في عاصفات زمـــازمٍ وزماجرِ

وَعدَتْ على أرض الكنانة رعَّفَ ـ

الأحقاد شُرّابَ النجيع الفـــائرِ

فمشى إليها كلُّ أروعَ غاضبٍ

وخطاه خوضُ ملاحمٍ ومجازرِ

هيهات مــا لانتْ عقيدةُ مؤمنٍ

مهما تحدَّتهــا غوايةُ كافـــرِ

يا طولَ ما انهدَّ الحديدُ مبعثراً
قِطَعاً على خشب الصليب الطاهرِ !

. . .

ما للهدير على الهديل طغى وما
ليدي تشدُّ على جموح نافـــرِ

طال انتظارُ أحبَّتي وتملـــلوا
يا مـــلءَ أبصار لهم وبصائرِ

فاطلعْ عليهم إن دهرك تابَ عن
أهوائـــه وأتاك سمحَ الخاطرِ

يكفيك أن تلقاه يُطلع دولةً
مِن مجـــد أقلام وعز منابرِ

وترى الضلالَ على سنا أعتابهـــا

شلواً تجرّره جبـــاهُ جبابر !

١٩٦١

ما اوجع

صاحٍ ! وكؤوسي لا تشفي
غصصي .. لا تسكر آلامي

أستعــرض أيامي فــــأرى
ما تخجل منـــــه أيامي

فجفـوني لا تعرف إلاّ
أحلامي تقتل أحـلامي

ودروبي لا تذكر أني
نقّلت عليهـــا أقدامي

صاحٍ ! وأحبُّك يا دنيا
في الوهج من الشفق الدامي

مـــا أوجعَ نفرةَ أهوائي
مني .. وتثاؤبَ أصنامي !!

١٩٦٥

الفارس

شيد اميل البستاني ضريحه الفخم ولم يدفن فيه،
فقد سافر في البحر ولم يرجع .

كيف يرتدُّ عن مداه ، مرادُهْ
وعلى ملعب الخلودِ طرادُهْ

فارسٌ ، نازلَ الليالي ، فعزَّتْ
بالتلاقي ، جيادُها وجيادُه !

ما درتْ في الزّحام ، أيُّهما أغزرُ
فيضاً ، عنادُهـــا أم عنادُه !

الجراحاتُ ، لهْوُها وهواها
والفجاآت ، وريُه وزنادُه

خاضها والعزيمة البكر تحدوه ـ
وفي قبضة الشموخِ قيادُه !

كلما غاب في غياهبها السود ـ
تراءى من خلفها تَهــــوادُه

كم عثارٍ من جبهةِ النصر أندى
طابَ فيه اعتزازه واعتدادُه

لصُوى الحق في المتاهِ ، خُطاهُ
ولأسطورة الجلاد جِلادُه

كل عنقاء مغربٍ من أمانيه ـ
جلاهـا في خدرها ميعادُه

صهوةُ المجـد ما امتطاها جبانٌ
كل نجمٍ عشاقُه أندادُه !

وأطلَّ الصباح والفارس الأسمر ـ
في كل غمـــرةٍ أرصادُه

مثخنٌ بالطعان ما عرف الشكوى ـ
ولا عـــضَّ سيفَه إغمادُه

تشرق البسمةُ اللعوبُ بخدَّيه
وتُخفي ما أزورَّ منه فؤادُه

حلفَ الكبرُ أن يشير إليه
وعلى راعفِ الجراح ضمادُه !

فجرى ! والحياة موكبُ آلاءٍ ـ
تحارُ الظنون ، أين امتدادُه

ضاربٌ،مطلقُ الأعنةِ فيالأرض ـ
تدانتْ جبـــالهُ ووهادُه

أورق الرملُ في مساحب ردنيه ـ
فناجى مُخضلَّهُ ميَّـــادُه

ونما الخير في الركاب فـكانت
كلُّ أيام دربـه أعيادُه !

رحلةُ العمر مثلما اعتُصر الروضُ
فكان العبيرُ لا أورادُه !

ربٌّ ، أسمى من السموّ ، نداماه!
وأسنى من السَّنَا ، رُوّادُه

. . .

من يقول ، انتهى أميل وولّى
وانطوى في الرّحى الطحونِ عتادُه

سائلِ المتعبين في الشرق عنه
هل خَبتْ نارُه وهل جفَّ زادُه ؟

أنتَ ميْتٌ ، يا موت ، بين يديه
تلك أوتاره وذا إنشادُه !

كان عزّاك بالرخيصِ من الأبراد
إمّـا تمزّقـــتْ أبرادُه

إنها سيرة السيوفِ ، وعقبى
كلِّ سيفٍ قِرابه ونجادُه !

لمن القبرُ ؟ باليتيم من المرمر –
يَنْـدى جدارُه وعِمادُه !

باذخٌ ، فوق ربوةٍ ، مشرئبٌ
والروابي من حوله حُسّادُه

شادَه واطمأنّ للراحة الكبرى
فأين استقرّ منه رقادُه !

ونفد يذهل العظيمُ ، فيما يُدرك
ما شأوُه ، وما أَبعادُه !

ضاقت الحفرةُ الرحيبةُ عنه
كلُّ لبنان مهده ووسادُه !!

بعُدَ العهد يا إميل ، ولم يبعدْ
عن السامر النجيِّ سهادُه

أين في « اليرزة » السخية ، نادٍ
نعمتْ في ظلاله قُصَّاده !

أين كهفٌ في صدره اختصر الكرم
وطافتْ على العطاش عهاده !

كم حملنا فيه النعيمَ على الرّاحِ
وسالتْ بشجونا أعوادُه

كم تهاديتَ ، عالماً من رجالٍ
بيننا ، ما تشابهتْ آحاده

تُطلق البسمةَ التي ما عَرفنا
أيَّ أفـــقٍ محجّـبٍ ترتادُه

ذهب الأمسُ وارتمى عند ناديك
وناديك مُحْكمٌ إيصـادُه

ما تبقّـى إلاّ القليل ، بساطٌ
وثراه ومجمرٌ ورمادُه !!

أأناجيك يا إميل ، على البعد
وللشوق وهجُه واتّقادُه

كيف نشكو الفراقَ والملهم المختار ـ
في يوم موته ميلادُه !

طلع الخلدُ من محاريبه الزُّهرِ
وناجاكَ ، زهوُه لا حِداده

نحن أسرى التراب ، ما أطلقتْنا
بعدُ من طيبِ أسره أصفادُه

حسبنا منه أن قَدرنا فاحببنا !
فهانتْ على الحياة شِدادُه

وعرفنا فيه الجمالَ ، وأقصى
ما بلغناه .. أننا عُبّادُه !!

ما ضَنّنا بما اصطفانا به اللهُ
ولا قـــلَّ عندنا إمدادُه

من رؤانا يهمي العزاءُ على الدنيا
ومنها بقاؤُه أو نفادُه !

. . .

وطنَ النور، لا أسمي،وهل غيرك
بالنور عُمِّـــدتْ أطوادُه

أنتَ شوقُ السماء كم زائرٍ منها
على منكبيك حطَّ جوادُه

صِلةٌ ما وهتْ عُراها ، تولّى
طارفُ المجد شدَّها وتلادُه

دأبُك الوهبُ ما ثناك عن الوهبِ
زمانٌ ، هِباتُه أحقادُه

أتعبتْ كبرياؤُك البغيَ حتى
انتحرتْ تحت بندها أجنادُه

الهداياتُ بعض زرعك في الأرض
فما ينتهي عليها حصادُه

أيّ بِدعٍ تعدُّه للغد الآتي
ومن أي كوكبٍ تصطادُه

١٩٦٣

عام جديد

كانت غرفته تغص ببطاقات التهنئة
بالعام ١٩٥٩ !! .

وحدي ، هنا ، في حجرتي
والليل والعام الوليـــدْ
والكأسُ والغصصُ الحرار
وغربـةُ الحـــلم البعيدْ
وتساؤلُ القلق المـــرير
ووطأةُ الصمتِ المديـــدْ
. . .

وحدي ، وأشباحُ السنين

العشر ماثـلة الوعيـــدْ

كم حطَّـمت مني ومن

زهوي ومن مجدي التليدْ

وقفتْ لتنثرَ كلَّ جرح

كانــ في صدري وئيدْ

من صيحة الوطن الطعين

ورقـدةِ الوطن الشهيدْ

وكآبة الشيخِ الطريـــد

ودمعة الطفـــلِ الشريدْ

وتململ الأحرار في
أغلال حكّامٍ عبيدْ

وتكالب الأقزام فوق
ذيول عملاقٍ عنيدْ

وحدي ، هنا ، في حجرتي
والجرح والفجر الجديدْ

ورسائل شتّى تقول
جميعها .. عاماً سعيدْ !!

بنات الشاعر

كل الناس يعلمون بموت الشاعر ، إلا بناته
ـ القصائد ـ « ألقيت في حفلة تأبين الأخطل
الصغير » .

نديُّك السمح لم يُخنق له وَتَرُ
ولم يغبْ عن حواشي ليله سَمَرُ

بناتُ وحيك ، في أرجائه زُمَرُ
يهزها المترفان ، الزهو والخفرُ !

تيتمتْ وهي لا تـــدري ونشوتُها
من كل عنقود ذكرى كنت تعتصرُ

رواقصٌ ، تحمل السلوى وتسكبها
وليس تعلم ما الدنيا وما القدرُ

على ناوّدها الإغراءُ منتفضٌ
وفي تلفُّتها التّحنـــان منهمرُ

ونحن من حولها أنضاءُ غربتنا
وأنت عنـــا وراء الغيب مستترُ

نُبدي لها غير ما نخفي ولوعتُنا
تـكاد في صمتها للشوق تعتذرُ

فلا تلمْها إذا لم تخبُ بسمتُها
ولم يعكّرْ صدى ألحانها كدرُ

لم يبلغِ الخـــبرُ الناعي مسامعَـها
عن مثل هذي اليتامى يُكتم الَخبرُ !!

. . .

غنَّتْ ، فمن « بابل » طاف النعيمُ بنا
فكلُّ منطلقٍ ريّـانَ ، مزدهرُ

جلا الحياةَ لنا عن سر فتنتها
فما اشتفى وَطرٌ ، إلا اشتهى وَطرُ !

الكاسُ من خمرة الإلهـــام مترعةٌ
والقلبُ في هيكل الأحلام معتمرُ !

والحبُّ قَرَّبنا منـــه وعلَّمنا
ما قدَّس الله لا ما دنَّـس البشر !

غَنَّتْ.. فمن «نينوى» مرَّ الشقاءُ بنا
فالراحُ لا عبقٌ والغصن لا ثمرُ !

رمى بنا القفر وافتضَّ السرابَ به
فأين-لا أين-منه الوِرْدُ والصَّدَرُ

خَصاصةُ العيش ما مدَّت لنا يدَها
إلاَّ وأقدامنا من سعينا حُمُرُ !

فكم عثرنا ولم تعثرْ إباءتنا
وكم نهضنا ولم يشمتْ بنا خوَرُ

وكم لدى صَلَفِ الحرمان من غصصٍ
نمنا عليها ولم تُكشفْ لنا سُتُرُ !

غنَّتْ وَغَنَّتْ.. فدنياكَ التي طُويتْ
منشورةٌ يجتليها السمعُ والبصرُ

ترفَّعتْ عن رخيص العمر وأتلقتْ
بما أرادَ لها من زهوه العُمُرُ !

تعال نسرحْ على أدنـــــى ملاعبها
فقد تحنُّ إلى مرآتها الصُّورُ !

وما عليكَ إذا ما الزورةُ اختُصرتْ..
بعضُ الربيع ببعض العطرِ يُختصرُ !

طلعتَ من حرم التاريخ في جبلٍ
تزيَّنتْ بسنا آلائه العُصُرُ !

وفي ضمائرهـــا من خيره سِيَرٌ
وفي حناجرها من هديه سُوَرُ

مؤثّلٌ ، شامخٌ ، بالنجم معتصبٌ
بالمجد متّشحٌ ، بالعزّ مؤتزرُ !

إزميلُ مبدعـــه أدّى رسالته
إلى العوالم فانطقْ أيها الحجرُ !!

درجتَ فــوق ثراه في كآبته
ودون قيد خطاك المسلك الوعرُ !

وحشُ الغزاة تمطّى في مرابعه
وشدقُه عن لُعاب الكيد منحسرُ

يَنساب بالنَّهمِ الطاغي وشِرَّتُه
مسنونة الناب لا تبقي ولا تذرُ

حَطمتَ بالصرخة الزهراء شوكته
ولم يحلْ دونها خوفٌ ولا حَذرُ

ثارتْ على رَجعها الأجيالُ وانطلقتْ
فكلٌّ ميدان ثأرٍ بالدما عَطرُ

وخلفَ هذي الرُّبى تهفو إليك رُبىً
بين الفرات وبين النيل تنتشرُ

على شهيٍّ رؤى لقياكَ مطبقةٌ
أجفانُها فهي تستجدي وتنتظرُ !

حَمَلتَ أشجانها الحرّى فما شهقتْ
إلاَّ وراحتْ إلى نجواك تغتفرُ !

أذاكرٌ يوم روّادُ الجمال بهـا
لفّوا جبينك بالغار الذي ضفروا !

أحطتَ في رقة الرهبان جمعهَمُ
كما أحـاط بعقد الأنجم القمرُ

وأنت تكتم عنهم ما تـكابدُه !
تموتُ وهي على أقدامها الشجرُ !!

• • •

يا راقداً في حمى النُّـعمى ومضجعه
ما زال يَندى عليه العشب والزَهَـرُ !

نجيُّكَ اليوم من أزرى الزمانُ به

وردَّه عن مدى آفاقه الكِبَرُ

جناحُه بعدما طال المطافُ به

مخضَّبٌ من شظايا الشُّهب منكسرُ

يمشي الهوينا على صحراء رحلته

وصحبُه الليل والأشباح والسَّهرُ !

وبين جنبيه آمالٌ مبعثرةٌ

تكاد لولا بقايا الصبر تنتحرُ !

كانتْ له في هضاب الشرق ألويةٌ

نَسجُ الكرامة معقودٌ بها الظفر !

يسائل القدرَ المحمومَ في خجـــلٍ
عنها فيغضي على استحيائه القدرُ

عزاؤه أنَّ مـلء الساح فتيته
إلى الرَّدى والفدا أرواحَـهم نذروا

كتـائبُ الفتح في إعصار عاصفةٍ
بالحقـــد والغضب العلويِّ تنفجرُ

من كل أمردَ ما أدمى مراشفَـه
في رعشة الشوق إلا الوحلُ والمدرُ

وكلِّ حسناء ما باعت أساورها
إلا لتشري بها ما الموتُ يدَّخرُ

كتائبٌ بالنضال الحق مؤمنةٌ

إذا الطواغيتُ من إيمانها سخروا

إن خوطبوا كذبوا أو طولبوا غضبوا

أو حوربوا هربوا أو صوحبوا غدروا

خافوا على العار ، أن يمحى ، فكان لهم

على الرّباط ، لدعم العار ، مؤتمر !!

. . . .

. . . .

على أرائكهم ، سبحان خالقهم

عاشوا وما شعروا ، ماتوا وما قُبروا

. . . .

. . . .

عفواً ، بشارة ، بعض البوح ضقتُ به
فسال فوق فمي ، حرّان ، يستعرُ

خنقتُ بالدمعـــة الخرساء أكثرَه
وأقتلُ الدمع ما لا يلمح البصرُ

١٩٦٩

الغربة

يا غربتي لا تطلقي أسري
لم يبقَ لي في العمر ما يُغري

طالعتني أيامَ كنتُ الشذا
يحـــلم في أكمامه الخضرِ

ولم تزالي طيفيَ المرتمي
في كل دربٍ موحِش قفرِ

كم سلوةٍ ناجيتها فانثنتْ

ترمقني بالنظــــر الشزْرِ

كفَّـنتُ في الفجر جراحَ الصبا

ورحت لا ألوي على أمرِ

. . .

يا غربتي ما أقرب المنتهى

بعد جفاف الكأس من خمري

سيري بتابوتي إلى قبره

وانتصبي يوماً على القبرِ !

١٩٤٩

زاروا بلادي

زاروا بلادي نافرين ـ
من الخيال إلى العِيانِ

متشوقين لرؤية الحسناء
عنقاء الزمانِ

أنا صغتُ فتنتها بما
أوحى إليَّ بها افتتاني

غنيتها حــتى غدتْ

في مسمع الدنيا أغـاني

أطلقتُها من خدرهـا

مجلى السنا والعنفوانِ

وجعلتُ فتيتَهـا حمـاةَ

المجدِ فرسانَ الرهان

. . .

زاروا بلادي ،فاختبأتُ ... ـ

(خشيتُ أن يدروا مكاني)

١٩٦٧

شطآن بلادي

رملٌ وصخورْ
ومطافُ نسورْ

ومواكبُ أخيلة تهمي من كوَّةِ عالمها المسحور
وحمائمُ بيضٌ في اليمِّ مدَّتْ أجنحةً للنجمِ

ووراء سُراها في الديجورْ
ذيلٌ من نورْ

تلك البحّـارة كم شقَّـتْ   أفقاً وأزاحتْ عنه ستورْ

وأقامتْ في جنباتِ الأرض   مواسمَ أظلال وعطور

قومي ! ما أعجَبهم قومي   مدُّوا للوحش يدَ الحِلم

ورموا صدرَ الغاب المهجورْ

بعرائسَ   حورْ

شطآن بلادي كم غنّتكِ   بسمع المجد شفاهُ عصور

أقوتْ أرجاؤُك الا من   حلم في جفن الرمل يثورْ

ألقاكِ وألقى في اليمِ   أسرابَ الأجنحةِ الدُّهم

جاءتك من الغربِ المسعورْ

هدَّامَ   قصورْ

وبُناةَ   قبورْ

١٩٥٠

في خندق

أخي ، لا تقـذف النار

نريد إصـابة المرمى

فمـا نتبـين الأشياء

في هـذا الدجى الأعمى

تريثْ . إنهم آتون .

لن يتجنبوا الدربـا

على مرمى خطاً منّا
نصبٌ حقودنا صبّا

أتنظر ؟ إنهم يسرون
في بطءٍ وفي حذرِ

كأن قلوبهم قرأتْ
لهم ما خُطّ في القدر

دنوا منا .. دنوا منا ..
تبصَّرْ .. إنهم كُثُرُ

دنوا .. حرِّكْ زناد المو
ت ... يا للأرض تستعرُ

ويا لجهنم تعوي .. وتف
غـر باللظى فاهـــا

وتطبقُ جفنها الدامي
على أشلاء قتلاهـــا

سكون قاتل .. أُنظرْ .
حيالك .. إنهـا رِمَـمُ

هنـا أيـــدٍ مقطعةٌ
هنا رأسٌ هنا قدمُ

أخي.. ما بي؟ أرى قدميّ
تصطكان من ألمِ

أظن شظّيةً طافتْ
بصدري وانطفت بدمي

أخي.خدرتْيدي..خارتْ
قواي .. تنهَّد الجرحُ

فقم أنتَ .. ودعني يا
أخي .. هيهات لن أصحو

وداعاً وطني الغالي
وداعاً .. مِتعَ الدنيا

وداعاً يا أخي .. إني ..
انتهى أجلي.. وداعاً.. يا..
١٩٦٥

في طائرة

« كان في رحلة إلى الشيلي ، وكانت إلى جانبه حسناء اسبانيولية ، تحدثه عن أمجاد أجدادها القدامى ، العرب ، دون أن تعرف جنسية من تحدث » .

وثبتْ تستقرب النجمَ مجالا
وتهادتْ تسحب الذيل اختيالا

وحيـــالي غادةٌ تلعب في
شعرها المائج غنجاً ودلا

طلعةٌ ريَّا ، وشيءٌ باهرٌ
أجمالٌ ؟ جلَّ أن يُسمى جمالا

فتبسمتُ لهـــا ، فابتسمتْ
وأجالت فيَّ ألحـــاظاً كسالى

وتجاذبنـــا الأحاديثَ فما
انخفضتْ حساً ولا سفَّتْ خيالا

كل حرفٍ زلَّ عن مرشفها
نثر الطيبَ يميناً وشمالا !

قلت يا حسناء ، مَن أنتِ ومن
أيّ دوحٍ أفرع الغصنُ وطالا

فرنتْ شامخــةً أحسبها
فوق أنساب البرايا تتعالى

وأجابت أنا من أندلسٍ
جنة الدنيــا سهولاً وجبالا

وجدودي ، ألمح الدهر على
ذكرهم يطوي جناحيه جلالا

بوركتْ صحراؤهم كم زخرتْ
بالمروءات ريــاحاً ورمالا

حملوا الشرقَ سناءً وسنىً
وتخطوا ملعبَ الغرب نضالا

فنما المجـــدُ على آثارهم
وتحدَّى ، بعد ما زالوا ، الزوالا

هؤلاء الصِّيد قومي فانتسبْ
إن تجد أكرمَ من قومي رجالا !

. . .

أطرق القلب ، وغامت أعيني
برؤاها وتجاهلتُ السؤالا !

١٩٥٣

يا عيد

يا عيد ، ما افترَّ ثغرُ المجد ، يا عيدُ
فكيف تلقاك بالبشرى الزغاريدُ

وكيف ينشقُّ عن أطيـافِ عزتنا
حلمٌ وراءَ جفونِ الحق موؤودُ

طالعتنَـا وجراحُ البغي راعفـةٌ
وما لهـا من أساةِ الحيّ تضميدُ

فللفجيعة في الأفواه غمغمـــةٌ
وللرجولة في الأسماع تنديـدُ

فتلك راياتنا خجلى منكسةٌ
فأين من دونها . تلك الصناديدُ

ما بالها وثَـبتْ للثأر وانكفأتْ
وسيفها في قراب الذل مغمودُ

يا للشعوب التي قادتْ أزمتها
على الليالي ، عباييدٌ رعاديدُ

. . .

يا عيدُ كم في روابي القدس من كبدٍ
لها على الرفرف العلويّ تعييدُ

سالتْ على العز إرواءً لغصته
والعز عند أباة الضيم معبودُ

هيهات لن يشتكي ما طُلّ من دمها
فالحقدُ مضطرمٌ والعزمُ مشدودُ

سينجلي ليلُنا عن فجر معتركٍ
ونحن في فمه المشبوب تغريدُ

١٩٤٩

يا شعب

يا شعب لا تشكُ الشقاءَ
ولا تُطل فيه نواَحكْ

لو لم تكن بيديك مجروحاً
لضمدنا جراَحكْ

أنتَ انتقيتَ رجال أمرك
وارتقبتَ بهم صلاحكْ

فإذا بهم يرخون فوق

خسيس دنياهم وشاحكْ

كم مرةٍ خفروا عهودك

واستقوا برضاك راحَك

أيسيل صدرُك من جراحتهم

وتعطيهم سلاحك

. . .

لهفي عليكَ ، أهكذا

تطوي على ذل جناحك

لو لم تبح لهواك علياءَ

الحياة لما استباحَك

١٩٤٣

صـــوَر

معبد كاجوراو

« معبد كاجوراو ، في الهند ، أروع ما شاهده الشاعر ؛ لقد مثل الإنسان في شتى مجاليه ، بين تساميه وتدنيه ؛ وذلك في مئات من التماثيل التي تعبر بكل جرأة ووضوح عن الاهواء الجنسية ، الطبيعية ، والشاذة ، والخيالية ، – مرّ الشاعر بامرأة عجوز فسمعها تقول لنفسها : ما أقذر هذه المناظر وما أقذر صانعيها غير أن دهشته كانت بالغة حدها لما رأى تلك المرأة في اليوم التالي ، تتملى من تلك المناظر ، وبيدها منظار مكبر » –

مَنْ منكما وهبَ الأمانْ

لأخيه ، أنتَ أم الزمانْ !

شقيتْ على أعتابك الغارات

وانتحـــرتْ هـوانْ

وتمزَّقتْ أملاكُـهـــا

تاجاً وفُـضَّتْ صولجـان !

وبقيتَ وحدك ، فوق هذا ـ

الصخر وقفـةَ عنفوان !

. . .

يا هيكلاً نثر الفتونَ ـ

ورنَّـح الدنيا افتتان !

وثَـبَ الخيالُ إلى لقاك

وردَّ وثبتَـه العِـيانْ !

وتكلمتْ أحجارُك الصماءُ
مشرقــــة البيــــان

وتلفَّتتْ منها الدُّمى
بـين افتراقٍ واقتران

نَضَت الوقارَ عن الحياة
فما استقرَّ له مـكان !

. . .

عينيَّ .. مـا تتأملان
وأيَّ دنيـــا تجلوان

مَسَح الذهولُ عليكما
يَدَه ، فمـا تتحوَّلان

كم دميةٍ ذلَّ الرخامُ ـ

على انتفاضتها وهـــان

طلبتْ فاعطى ، واشرأبَّتْ

فانحنى وقَستْ فَلانْ !

وتـــكاد تنقل ظلَّها

وتسير مطلقةَ العنان

. . .

هذان نِضْوا صَبوةٍ

مجنونـــةٍ ، يتعانقان

وعلى ارتخاء الساعد الريّان ـ

تخفــق خصلتـــان

شفةٌ على شفةٍ تفتّح
برعمـاً وتلفٌ بـان

وإلى جوارها تشذَّبتْ
سروةٌ ، بل سروتان

غابت به خصراً فاجفلَ
واستـدارَ الناهدان

. . .

وفـتىً يهمُّ بقبـلةٍ
ويـكاد يقطفها حنان

قطع الحياءُ بها السبيلَ
فما استعان ولا أعـان

تمضي الليـالي وهو من
نعمائها قاصٍ ودان !

. . .

وبناتِ لذاتٍ مطرّحةٍ ـ
عنـــاقاً واحتضـــان

وأكفُّ « شيفا » ستّتان ـ
على حواشيها اللِّـدان

حيران .. من أي الكنوز ـ
يلمُّ حبات الُجمان !!

وتلوح إحداهن ذاهلةً ـ
مروّعـــة الَجـــنان

ظمئتْ وأخطأها الرّوى
فكأنّ زهوَتها أهان

وكأنها شعرتْ بنهديها ـ
أرادا يشــردان

فلهـــا على طوقيهما
كفّانِ لا تتزحزحان

. . .

ومراهقٍ مستســلمٍ
لقيـــاد غانيـةٍ عَوان

ردِّ الربيعَ لها ، فرفّتْ ـ
طلعةً وزهــتْ لَيان

أهوتْ عليه فاكتسى
بالياسمين الخيزران !

وتمهّلَتْ .. لا وهجُها
فانٍ ولا الينبوعُ فان !

وحيالَها ثنتانِ من
أترابها مَنسيّتان

زُمّتْ شفاهُهما على
معسولِ ما تتساقيان

وسَهَتْ جفونُهما على
أطيافِ ما تتشهيّان

لولا خلاخيلُ الكعوب –
لقيـلَ عانيةٌ وعانِ !!

ونديٌّ كُهّانٍ تضوَّعَ –
في مجـامره الدُّخان

وصنوجـــه وكؤوسه
طافت بهـا زمرُ القيان

يرقصنَ في إغرائهنَّ
وكلٌّ قـــدٍّ ، أفعوان

وأمـــامَهنَّ بقيـــةٌ
من كاهنٍ خسر الرهان

لو همَّ ، خشَّت أضلعٌ
منه وصكَّت ركبتان

ركعتْ وراءَ وساده
إحدى صباياه الحسان

وتجمعتْ فانهلَّ نسرينٌ
وأورق أقحوانْ

فشفاه ما اهتصرت أنامله
وما ـِ اعتصر اللسان

. . .

وَغويَّةٍ ظماى تفنَّن
في رضاها ظامئان

هاما بما اقتسما فكلٌ
عند موردِه استكان

هذا مطاويها استطاب –
وذا نوافرها استلان

. . .

ومعربدٍ في رعشةٍ
محمومةٍ .. فَصَدَ الدَّنان

أغفى ! وللأعياء في
جفنيه ، تومئ دمعتان

وأناملٌ عشرٌ على
كتفيه ، دامية البنان

. . .

وصبيةٍ ممشوقـــةٍ
هي والغواية توأمـــان

يهفو القميص لمسِّ خصريها
وتأبـــى الحلمتـــان

شمختْ وفوق مساحب ـ
الأردان ، أضلاعٌ حوان !

. . .

وشقيةٍ قيـــلَ اجتباها ـ
واصطفاها كاهنـــان

فتنتهـــما فتباريـــا
في حبهـــا يتناحـران

وتناسيا فيها هوى
« شيفا » فـما يتعبّـدان

فاذا هما مسخان في
صدر الجدار مقيدان

والبدعةُ الحسناءُ بينهما
تعضُّ على البنان !

وذؤابتاهـــا حيّـتان
بجيدهـــا مشـدودتان

ومجال نهديها خضيبٌ
طوّقتْـــه عقربان !

. . .

وهناك راقصة تناهتْ
في تأوُّدِها اتّزان

وقفتْ على ساقٍ ، فكانتْ
مثلما اعتدلتْ ثمان !

خلخالُ كاحلِها ، وتاج
جبينها ، متقاربان

وعلى تلاقي حالبيها
عاصبٌ من أرجوان !

. . .

وفتاةِ خدر لم تلامسْ
عقدَ مئزرها يدان

وقفتْ وجفناها بـأذيال
الشمـوس معلَّقـان

قالتْ ـ وقال الوعــــدُ
للأحلام : ما آن الأوان !

. . .

كاجْـراو ! هل من حرمةٍ
لك عند رائيها ، تُصان !

كم زائرٍ أدمى فؤادَك
ما أسرَّ ومـــــا أبانْ

أخفى الرضى وتظاهرتْ
بالسخط ، عيناه اللتان . . .

تتحرَّيانِ وتنهلانِ .
وتسكرانِ . وتحلمان !

مزَّقتَ أقنعة الحيـاة
ومـا عليها من دهـان

وجلوتَهـا في عُريها
فترفَّـعتْ بعـد امتهانْ

. . .

لاجراو ، عفوكَ ، ليس لي
مني على حلمي إئتمان !

أوْلى فاوْلى أن تموتَ
طيوفهُ خلفَ الجفان

لا تسألنَّ فلـن أجيب
وظُنَّ بي ما أنت ظان !

أنا مثل غيري لا يُرى لي
من كـوى سجني كيان

أنا مطمئنٌ بالقنـاع ـ
ورافـلٌ بالطيلسان

أزفَ الفراقُ .. فلن تمدّ ـ
إلى رتاجـك راحتـان !

. . .

كاجْـراو .. لولا العجزُ
والحرمانُ ما كان الجبان !

١٩٥٧

اوغاريت

وقفت بين أطلال المدينة التي اكتشفت
فيها أول ابجدية في التاريخ .

يا روعةَ المـــاضي البعيد
المستسرِّ المبهـــمِ

كيف انطلقتِ من السلاسل
والعقـــالِ المحكمِ

أقبلتِ ، فالتفت الزمانُ
تلفُّتَ المتـــوهِّمِ

والموت دونـــك واقفٌ
في ذلَّـــةِ المستسلمِ

فـــيم التمرُّد والوثوبُ
على القضاء المـــبرم

أتعبتِ من حـــلم الخلود
فشئتِ أن لا تحلمي !!

. . .

مـــا تبصرين ؟ تأملي !
ما تشعرين ؟ تكلمي !

ألرَّبـعُ ربعُك فانحـــني
عطفاً عليـــه وسلّمي !

لا تنكريه إن تنكَّر
بعـــد طول تجهُّمِ

لم يبق فيه من بنيكِ
سوى الطيوف الحوَّمِ

كم خضَّبته حوافر
الخيـل المغـيرة بالدم !

ولكم تحطمت الظُّبى
في صدره المتحطم !

أنسيتِ كم فرعون
داس على ثراك الأكرمِ

وتتـابعتْ أشبـــاهه
في كيدها المتضرمِ

حتى غفوتِ على جوانب
مجـــدك المتهدِّمِ

. . .

مـالي أراكِ كئيبة
النظـرات ، لم تتبسـمي

هذا الذهول يـنمُّ عـن
ذاك الجـوى المتكتمِ

ويـــكاد يسأل : مَن أنا
ويكاد يخذلني فمي !

أنا يا ابنة الأمجـــاد
مثلك واقفٌ في مأتمي

أنا من بقايا أمةٍ
هي والعلى مـن توأمِ

مرتْ على الدنيا مرورَ
القطرِ بالحقل الظمي

وتناقلتْ آياتِ رحمتها
شفـاهُ الأنجمِ !

٭

ردَّتْ إلى مغناك
عهدَ ربيعك المتصرمِ

فإذا شممتِ الطيب فهو
نثيرُ ذاك الموسمِ !

لا تسألي أين انتهتْ
إن تسألي ، تتألمي !

الشمل بين مشتتٍ
وممزق ، ومثلَّمِ

والأرض ما زالت مهادَ
الظالمِ المتظلمِ !

. . .

يا روعة الماضي البعيد
المستسرِّ المبهمِ !

ألقاك .. واغصصَ اليتيمة

في ظـــلال الميـــتمِ !

عودي إلى حرم الغياهب

واهجعي ! لن تنــــدمي

١٩٥٢

طلل

«مر بصرح روماني قديم، لا يستطيع غير الظن ان يتحدث عن ماضيه، واسترعى انتباهه خلوه من الشوك وتألق ترابه النظيف . فقال في نفسه ان الموت يقف امام ضحيته ، مجروح الكبرياء، لأنه لا يستطيع ان يفتك بها اكثر مما فتك . »

قفي قدمي ! إن هذا المكان
يغيب به المرء عن حسهِ

رمالٌ وانقاضُ صرحٍ هوتْ
أعاليه تبحث عن أسهِ

أقلّبُ طرفي بـه ذاهلاً
وأسأل يومي عن أمسهِ

أكانت تسيل عليه الحياةُ
وتغفو الجفونُ على أنسهِ

وتشدو البلابلُ في سعده،
وتجري المقاديرُ في نحسهِ

أأستنطق الصخرَ عن ناحتيه
وأستنهض الميتَ من رمسهِ ؟

حوافرُ خيل الزمان المشتّ
تـكاد تحدّث عن بؤسهِ !

فما يرضع الشوكُ من صدره
ولا ينعب البومُ في رأسهِ

وتلك العناكبُ مذعورة
تريد التفلُّتَ من حبسهِ

لقد تعبتْ منه كفُّ الدمار
وباتت تخاف أذى لمسهِ

هنا ينفضُ الوهمُ أشباحهُ
وينتحر الموتُ في يأسهِ

١٩٣٧

لبنان

أنت إ ما أنتَ ! فتونٌ سرمدي
نجتدي من وحيه ما نجتدي

ونناجيك وفي ألحانِنا
ينتهي شوقٌ وشوقٌ يبتدي !

ولنا في كل نادٍ سُمَّرٌ
عكّفٌ حول أمانٍ شُرّدِ

رددَّتْ ما ذاع منا فانثنتْ
في روابيك نشاوى سؤددِ

فأتلقْ يا معبدَ النجوى بنا
إنّما نحن شموعُ المعبدِ !!

كم كحلْنا مقلةَ المجد بما
صغْتَ في فجر السَّنا من مِروْدِ

يوم طوَّقتَ البرايا بيدٍ
وتلقيتَ جناها بيدِ

قدمٌ تجرح أحشاء الثرى
وفمٌ يلثمُ خدَّ الفرقدِ !

وعلى جنبيك فتيانٌ مشى

خلفَهم ركبُ الزمان الأمردِ

غمسوا المجذافَ في اليم ففي

كل أفق مئزرٌ من زَبَدِ

حملوا الحرفَ الذي انشقَّتْ على

لحنه البكر شفاهُ الأبدِ

فتلفتَّ فلم تلمحْ سوى

أمةٍ تهدي ! ودنيا تهتدي !

١٩٤٨

إفرست

شَـــوقُ المــرأة الأرض

إليكَ   غير الظنِّ لا يرتقي
يا عاصبَ الغيم على المفرِق

لأنتَ مجلى الأرضِ   في شوقها
إلى البعيد المـــترفِ الشيِّـق

غازَلها نجـــمٌ، غويُّ السَّنا
وهزَّها مـــن خدرِها الضّـيقِ

فانتفضتْ تهتفُ : يا خَضْرَهُ
قَرِّبْ ، ويا وجدي به : طوِّقِ

فكنتَ منهـــا اليدَ ، ممتدَّةً
ولم تزلْ ممتـــدةً .. يا شقي !

١٩٦١

كـــأس

« يروى أن ديك الجن الحمصي قتل جاريته الحسناء حباً بهـــا وغيرة عليها ، وجبل من بقايا جثتها المحروقة كأسه ؛ وكان ينشد بين شربه وبكائه أبياتاً من الشعر »

أجريت سيفي في مجال خناقها
ومدامعي تجري على خديهـــا

روّيت من دمها الثرى ولطالما
روّى الهوى شفتي من شفتيها

(ديك الجن)

. . .

دَعْها ! فهذي الكأس ما
مرّت على شفتيْ نـــديمِ

لي وقفةٌ معهـــا أمامَ
الله في ظـــلّ الجحيمِ

دعهـــا ! فقد تشقيك فيها
لفحة البغي الرجيمِ

وتَنفّسُ الشبحِ الشقيّ
على جُذى حب أثـــيمِ

مـــا لي أراك تطيل فيّ
تـــأمّلَ الطرف الرحيمِ

أتخالني أهـــذي؟ وخمري
صحوةُ القلب الكلـــيمِ

إشرب! ولا تتركْ جراحَ
السرّ تعوي في رميمي!

. . .

كانت تغنيني، وكنتُ
أحسّ بالنعمى تغـــني!

هيفاء، لم يبلغ مـــدى
إغرائها وهمي وظـــني...

كيف ارتضتْ دنيايَ دنياها
على قلـــقٍ وأمـنِ

كيف استقتْ حبي وقصّتْ

فيه أجنحةَ التمـــني !

ما غرّها مني ؟ ومـــاذا

أبقتِ الأيامُ مـــني

ألشيبُ مـــرّ بلمـتي

وأقام في عجزي ووهني

والشوق ، أحلامٌ مخضبةٌ

تموت وراء جفـــني !

. . .

نادى هواهـــا ، فالتفتّ

وما رددْتُ له جـوابا

وشبابها الظمآن ، بين
يديَّ يستجدي السرابا !

فوجمتُ ! مجروحَ الرجولة ،
أخفض الطرف اكتئابا

ورجعتُ للأكواب ، أملأها
على غصصٍ شرابا

وأعبّها حُمّى من الأهواء
تصطخب اصطخابا

فإذا دمي ، في مثل وهج
الجمر ، يلتهب التهابا

والنجمُ أسطعُ .. وهو يهوي
عن سماوته اغـــترابا !!

. . .

مالتْ عـــليّ وطرفها
في يأســـه يتضرعُ

وعبيرها مـــا سالَ من
صدر الربيـــع وأمتـع

فضممتهـــا ، فتنهدتْ
غصنٌ، وصكّتْ أضلعُ

هي نشوةٌ لم يبق لي
من بعدها مـــا يُطمعُ

كم ظبيةٍ قعدتْ بعبء
جراحـــها تتوجعُ

لمـا رأتْ في خشفهـــا
الجـوعَ الملـــحّ يروّعُ

زحفت لُترضعَـه، وماتت
وهو بــــاقٍ يرضعُ !!

. . .

نامت ! وخلفَ نديّ
جفنيها ... حياةٌ تحلـمُ !!

طوراً تقطّـب حاجبيها
تـــارةً تتبسّـمُ

وعلى ارتعـــاش شفاهها
الحمراء ، بَوْحٌ مُبهمُ !

فدنوتُ أصغي ، علّهـــا
في همسةٍ تتلعـــثم !

ورجفتُ ... خشيةَ أنْ ـ
تطالعني بمـا لا أعـــلم

ورجعتُ أمشي القهقرى
وجـــوانحي تتضرمُ

وعلى خطـاي أرى
بتمايا سلوتي تتحطم !!

. . .

نامتْ ! وجنحُ الليل جُنّ
وغيرتي الهوجاء غضبى

أنا لن أعيش غداً فاروي
قلبها الظمآن حبا !

من أين ؟ والدنيا طوت
أظلاَلها الفيحاءَ وَثْبا

ومراكبُ الأيام شقّتْ
جبهتي درباً فدربا !

نامتْ ! وأشباح الغد
الباكي أدفّعهنّ رُعبا !

أيضمّ غيري هذه النعمى !!

متى وُسِّدتُ تُربا ! ؟

ويحي !! لقد جفّ الرضى

رطباً وضاقَ الكون رُحْبا !!

. . .

قَبّلتها !! والليل ينفض

عنه أسرابَ النجومِ

ومدامعي تجري ، وكفّي

فوق خنجريَ الأثيمِ

هي وقفةٌ رعناء ، ضاق

بهولها حِلمُ الحليمِ

فحملتُ شلْوَ ضحيتي
والنار حمراء الأديمِ

وجبلتُ من تلك الجذى
كاسي ومن تلك الكلومِ

وغداً أحطِّمها ، أمامَ
الله في ظل الجحيم

فاشربْ ودعها ؛ فهي ما
مرتْ على شفتيْ نديمِ !!

١٩٤٠

بلبل

قال الجاحظ :

« البلبل لا يذل في قفص »

حلم تخلَّى عنه في رغدهِ

هل يقدر النوحُ على ردّه

لو يعلم الصيادُ ما صيده

لم يجعل البلبل في صيده

. . .

ألفيته ينثر ألحانَه

كأنما ينثر من كِبْده

وإلفه المشفقُ، ظـــــلٌ له
باقٍ كما كانـــ ، على عهده

مُدلّهُ اللفتات مستوحشٌ
طاوٍ جناحيه على وجده

كم أطبقتْ منقارَه غصةٌ
فمدّه ينقر في قيده !!

أسقمه العيشُ على وفره
لما رآه ليس من كدّه

وأين مخضلّ الجنى حوله
من زنبق الروض ومن وَرده

. . .

طوى المنى نوحاً ، ولكنما
لم يغنه النوحُ ولم يجـــــده

فعاف دنياه ولم يتخـــــذْ
عشاً ولم يحملْ سوى زهده

كأنه من طول ما مضّه
من عبث الدهر ومن كيده

أبى عليه الكبرُ أن يورثَ
الأفراخَ ذلَّ القيد من بعده!!

١٩٤٤

كوباكبانا

« لم يزل في الريو ، عاصمة البرازيل ، وأجمل مدن الدنيا ، أحراج كثيفة لم تطأها بعد قدم إنسان . كان يتجول في حواشيها بين أنقاض كهوف الهنود الحمر ، الذين أبادهم بغي الفاتحين المستعمرين . وفي ذلك السكون الموحش أحس كأنه يسير في صحبة أرواح هؤلاء الضحايا الأبرياء . »

مطافَ الجمالِ ، مطاف الجلالْ

ملكتَ عليَّ عنـــانَ الخيالْ

وموَّجتَ روحي بغُبرِ الرمالْ

وزهرِ التلال وخضرِ الجبـالْ

وزرقة يمٍّ رحيب المجالْ ...

وأنتَ على عــاديات الضلالْ

صلاةُ احـتمال ونجوى ابتهالْ

طويتَ العصور الخوالي الطوالْ

وما زلتَ تسأل ركبَ الليالْ

عن كل أسْمرَ سمحِ الخلال

أماتَ على شفتيك السؤالْ !؟

بعد الكلال وبعد المـــلالْ !

أين الطراد وأين الـــنزالْ

وأين الزوارق عبر الرمالْ

تروحُ وتغدو خفافاً ثقالْ

وأين صباياك حلم الرجالْ

نشاوى دلال سكارى وصالْ

رواقص في حلقات اتصالْ

وللنار دون خطاها اشتعالْ

وملء حواشي دجاها ظلالْ !..

مطاف الجمال ، مطاف الجلالْ

أتتك الجياعُ تجرُّ الوبالْ

وسابتْ على الشط حمرَ النصالْ

فضجَّ الصدامُ وضج القتالْ

فلا كوخ إلا وفيــه انهيالْ

ولا شمل إلا وفيــــه انحلالْ

قرابين .. تذبح ذبح السّخالْ

فدى المتغني بطيب الفعـــالْ

وفي روحه من نزيز الضلالْ

ومن رجس دنياه داء عضالْ !

. . .

مطاف الجمــــال مطاف الجلالْ

ملكت عليَّ عنان الخيالْ

فإني أحس بهـــذي الرمالْ

وهذي التلال وهذي الجبالْ

طيوفَ الأوالي الغوالي الحوالْ

مواثلَ لا يعتريها الكلالْ

على الدهر ترعاك في كل حالْ

فلا العهد ولّى ولا الحب زالْ

ولا مرّ هجرك منها ببالْ

حنانك..

إن بسمعي انسلالْ

حفيفِ جناحٍ قريبِ المجالْ

بعيدِ المنال، بعيدِ المنالْ

١٩٥٢

عودة الروح

« أبصرهـــا عريانة سكرانة في عيد الكرنفال في ريودجنيرو ، ترقص وتغني أغنية غريبة وبلغة غريبة ، فقال أحد أصدقاء الشاعر : هذه أغنيتها التي كانت ترددها في الغاب قبل مئات السنين » .

ليلُـك .. هذا الليل يا زنجيَّـهْ

فاطويه في آفاقك النديّـهْ

وانطلقي انشودةً شجيهْ

ورقصةً مجنونةً ، وحشيهْ

حـــاملةً أشجانك الخفيهْ

ناثرةً أطيافك السخيهْ

بين يديْ أحلامك المنسيّهْ

غيبي عن الوجودْ وأطلقي عهودْ فردوسك المفقود

تمرُّ بي مخضلَّةَ الآلاءِ

زخارةً بالبشر والنعماءِ

على حواشي الغابة الخضراءِ !

وأنتِ .. في طلعتك السمراءِ

لاهيةٌ بالصنج والغنـــاءِ

مائسة بالغنج والإغراءِ

بين لحاظ الفِتية الظماءِ

والكاس والعنقودْ في خدرك المرصودْ للفارس المنشودْ

ألقاك ! ألقى حولك النيرانا

مالئةً صدر الدجى دخـــانا

والغاب ساجٍ مترع أمانا

طاب زماناً وازدهى مكانا

وألمح النواهـــد الحسانا

ينشرنَ ريَّانَ الصبا عريانا

من كل نشوى خاصرتْ نشوانا

لم تعرفي قيودْ عالمنا المكدودْ في غابك المعبودْ

كيف ؟ ومن أوحى إليك الرّمبا

وفضّ في سمعك لحنَ السمبا

دنياك أهوتْ في الليالي غضبى

وأطبقتْ فوق الجراح الهدبا

كيف طويت الغيب دربا دربا

وزرتها شوقاً لهـــا وحباً !

أيٌّ هوًى ردّ جناها الرَّطبا

غيبي عن الوجودْ وعن رؤاه السودْ وأفقه المحــــدودْ

واستعرضي أيامـك القصيَّهْ

واحييْ بهـــا هنيهةً هنيهْ

ليلك هـذا الليل يا زنجيهْ !!

١٩٥١

ليدا

اتاها الإله « زوس » بصورة طائر

مَرّغي جفنيك بالحلم وغيبي

وتناسيْ وحشةَ العمر الجديبِ

واهصري ما شئتِ من أجنحةٍ

تشتهي الموت على وهج اللهيبِ

كبرياءُ الفتنة البكر أبتْ

أن ترى خمركِ في كاسِ حبيبِ

فاحملي الشوقَ فما تدري به
أذنُ الواشيٍ ولا عين الرقيبِ

واسفحيه رعشةً تنضح مـــا
قرّ في نهديك من خمر وطيبِ

. . .

يا ابنةَ الأحــــلام لا تستقبلي
مصرعَ النشوةِ بالطرف الكئيبِ

يكتفي الزنبقُ في صحرائه
بندى الفجر وأنسام المغيبِ

١٩٤٦

أصبح السفحُ ملعبـاً للنسورِ
فاغضبي يا ذرى الجبال وثوري

إنَّ للجرح صيحةً فابعثيها
في سماع الدنى فحيحَ سعيرِ

واطرحي الكبرياء شلواً مدمّـى
تحت أقدام دهرك السكيرِ !!!

لملمي يا ذرى الجبال بقايا النسر
وارمي بهـــا صدورَ العصور

إنه لم يعد يكحّـل جفنَ النجم
تيهـــاً بريشه المنثـــورِ

هجر الوكرَ ذاهلاً وعلى عينيه
شيءٌ من الوداع الأخـــير

تاركاً خلفـــه مواكبَ سحب
تتهاوى من أفقها المسحورِ

كم أكبّـت عليه وهي تُندّي
فوقه قبلةَ الضحى المخمورِ

. . .

هبط السفحَ... طاوياً من جناحيه
على كل مطمح مقبورِ

فتبارت عصائبُ الطير ما بين
شَرودٍ من الأذى ونَفورِ

لا تطيري جوّابةَ السفح فالنسر
إذا ما خبرتِه لم تطيري

نسل الوهنُ مخلبيه وأدمتْ
منكبيه عواصفُ المقدورِ

والوقارُ الذي يشيع عليه
فضلة الارث من سحيق الدهورِ!!

. . .

وقف النسر جائعـــاً يتلوَّى
فوق شلوٍ على الرمال نثيرِ

وعجافُ البغـــاث تدفعه
بالمخلب الغض والجناح القصيرِ

فسرت فيه رعشةٌ من جنون
الكبر واهتز هزَّةَ المقرورِ

ومضى ساحباً على الأفق الأغبر
أنقـاضَ هيكلٍ منخورِ

وإذا ما أتى الغياهبَ واجتاز
مدى الظن من ضمير الأثيرِ

جلجلتْ منه زعقة نشّت الآفاقُ

حرّى من وهجها المستطيرِ

وهوى جثةً على الذروة الشماء

في حضن وكره المهجورِ !

. . .

أيها النسر هل أعود كما عدتَ ..

أم السفح قد أمات شعوري ؟!

١٩٣٨

جان دارك

« رأى في معرض « اللوفر » بباريس صورة فتاة رائعة الجمال على صهوة جواد أدهم ؛ فاستغرب عندما علم أنها « جان دارك » » .

الفجر أوما ، والبتولُ
بحلمهـــا المعسول نشْـوى

حـــتى إذا أطيافه
نفرتْ من الأجفان عدْوا

أخذتْ تَمطّـى والفتورُ
يهزهـــا عضواً فعضوا

وغطاؤها المعطار يزلق
عن ترائبها ويُطوى

وأكفُّها في شعرهـــا
تزداد دغدغةً ولهـــوا

والناهدان بصدرهـا
يتواثبان هوًى وشجوا

فتشدّ فوقهما وسادتهـــا
وفي شغـفٍ تلـوّى

هيهـات تُروى والحيـاءُ
خدينها هيهات تُروى !!

. . .

نظـرتْ إلى مرآتهـا
والشعـرُ مضطربُ الضفائرْ

ولحـاظها بـــثمالة الاحلام ـ
ساهيـــةٌ فـــواترْ !

وقميصها المحـلول فوق
تواثب النهـدين حـائرْ

فاستعرضتْ عيشاً كما
شاء الهوى ريانَ عاطرْ

وتمثلتْ خِدناً يحلّ
براحتيه لهـــا المـآزرْ

ويضمها شغفاً وتهمي

فوقها القُبَلُ المواطرْ

فتلجلجتْ خجلاً وغصّتْ

بالشهي مـن الخواطرْ !

وتنهدتْ ألماً وأطبقت

الجفونَ على المحاجرْ !..

. . .

وقفتْ تصلي هيبةً

والنفس خاشعة كئيبه !

وصليبها القدسيُّ يرمقها

بنَظرات رهيبه

فتزحزحتْ أجفانُهـــا
عن دمعة القلق السكيبه

وفؤادها المخذول يكتم
في مخـاوفـه وجيبـه

فاستغفرتْ عـــن حلمه
الطـاغي ولفتتِـه المريبه

واستعصمتْ بصليبهـا
من كل هاجسة غريبه

وبنتْ له خلفَ الضلوع
هياكلَ الحب الرحيبه

وأتتْ على أمل الشباب
وطيبِ زهرته الرطيبه !

. . .

مضت الليـــالي ... مثلما
الأحلام في أجفانِ نائمْ

فإذا البتـول على جواد
مثلِ جلد الليل فاحمْ

وأمـامَـها عَـلمُ البـــلاد
مـوّجُ الجنبــات باسمْ

ووراءها جيشٌ من
الفرسانِ مشدود العزائمْ

وخيولـــــــــه مختالـة

تحت العـوالي والصوارم .

ينساب في الوادي كما

الرقطاءُ بات لها قوائمْ !

وغباره يعـــــــلو على

جنبيه من عسف المناسمْ

والأفق مطروفُ العيون

بلفحه والصخرُ شاتمْ !

. . .

نادت بفيلقها البتولُ

وهزّ ساعدُها المهنّدْ

وعَدتْ إلى حرم الجهاد
السمــح بالعزم الموطّــدْ

فتلاحم الجيشان فاندلع
اللظى والهول أرعــــدْ

هذا يفــــرّ وذا يكرّ
وذا يُكبُّ وذاك يصعدْ

والموتُ يأكل ما تُلقّمُهُ
يــدُ الطعن المسدّدْ

حتى إذا نالتْ نواجذُه
من الأشلاء مقصـــدْ ...

بدت البتولُ كما بدا
من كوّةِ الظلماءِ فرقدْ

تختـال جـذلى بالفخار
وعـزةِ النصر المخلدْ

. . .

نصرٌ على نصر أقضّ
مضاجعَ الأبطال ذعـرا

حتى إذا الوطنُ الأسير
بدا من الأغـلال حرا

هوتِ البتـول المستميتة
في يـد الأعـداء غـدرا

فطغتْ سخـــائمهم كما
لو في الهشيم قذفتَ جمرا

ومشوا مجوساً يحملون
بتولهـــم للنـار نُكرا

ورمــــوا بهـــا وتجمعوا
من حولها تيهاً وكبرا

فتجلدتْ ويــدُ اللظى
ترمي بمئزرها فتعرى

وتهزهـــا هـزّاً فتعلو
تـــارةً وتخرّ طورا !

. . .

أخذتْ تصعّدُ روحَها
في قبضة النـــار المهيبه

وأمامها تمشي طيوفُ
الخلد في حلل قشيبه

فبدتْ تصلّي للصليب
صلاة فائزة طروبه

فإذا به يحنو عليها
بابتسامته الحبيبــه !!!

١٩٣٥

الروضة الجائعة

زار مسرح اللونا بارك في حلب في
أحدى ليالي الخريف .

أفي هـــذه الليلة المقمرهْ
أهيم بأرجائك المقفرهْ !

عرفتُ الذهولَ الذي قادني
إليكِ فأحببتُ أن أنكره

. . .

لك الخير يا روضتي ! لم أجد
سواكِ ! مواسيةً خيّـره

أتيتُ لأنسى.. فما لي أرى
الهواجس كالسحب الممطره

ألا أين عرشُ الجمال السنيّ
على ذيل يقظتك المبكره

وللغصن ترنيمةُ العندليب
وللجوّ تسبيحة القبّـره !

وأين بساطُ الندامى على
مطارفك الغضة المزهره

ورقص القيان وخفق الصنوج
وعربدة الأكؤس المسكره

تلوّيتِ فوق زنود الخريف

على وهج لذتـــه المنكره

ولما تعرّيتِ لم تسمعي

سوى ضحكة منه مستهتره

فأصبحتِ خلف جبين الحياة

وأحلامها فكرةً مضمره !

. . .

أأقلقتُ أحلامك الهاجعات

على سُرُرِ النعمة المـــدبره

رويدك لا تجرحي صمتك الرهيب

ولا تهتكي مئـــزره

فإني أحس بـه همهماتِ
الوحوشِ وخشخشةَ المقبره

فذا شبحٌ فاغــــرٌ شدقه
وذا شبحٌ شاحـذٌ خنجره

ومن كل صوبٍ فم جائعٌ
تمزق صيحاتُه الحنجره!

حنانك لا تفلتي الذكريات
على وحشتي صوراً مُصحره

في مثلُ مـــا بكِ لكنما
أبتْ كبريائي أن تظهره

فرديٌّ إليّ الذهولَ الذى

تطير له الروح مستبشره

فتلقاه أكرمَ من دمعة المتابِ

ومن بسمة المغفـــره !

١٩٣٨


شجون

ما بعدك

ما بعدَك ؟ يا أفقي الأعلى
دنيايَ توارتْ في العتمهْ !

سرٌ يغريني بالتصعيد
وأنتَ تحبِّبُ لي كَتمهْ ..

أعطتني أيـــامي أشهى
ما مرَّ على خاطرِ نعمهْ !

فصباحي من أمـــل بسمهْ
ومسائي من حلم ضَمَّهْ !

ومساحبُ أقدامي في التربِ
حديثُ العطرِ إلى النسمهْ !

بغيٌ مني أن لا أرعى
لعطايا أيــامي حُرْمهْ !

. . .

ما بعدك يا أفقي .. إني
منطلــقٌ مشبوب الهمَّهْ

ويحي .. ما لي أنهارُ .. وما
لمطافي يستنزف حُلمــهْ

ما لِي أهوي.. وأحسّ الغيمةَ

تقـذف بي إثر الغيمهْ

لأظن .. جناحي محترقٌ

محترقٌ.. من لمسةِ نجمهْ !!

١٩٦٥

عناد

« فرار الشاعر من الواقع »

هذي الرُّبى كم ضاق فيَّ فضاؤها
مـــالي على جنباتها أتعثَّـرُ !

شبَّ الحصى فيها ودون زحامه
دربٌ يغيبُ وآخر يتكسَّـرُ

وملاعبي ومجرُّ أذيالي بهـــا
بَعُـدَتْ ، فما ترقى اليها الأنسرُ !

ما كنتُ أحسب أنها تتغيَّـرُ !

. . .

والخمرُ ، ويح الخمر ، در
يوري أمانيَّ الرحابَ ويسعرُ

ويطوف بي دنيا مخضلة الجنى
لا أنتقي منهـــا ولا أتخيَّـرُ

واليوم ، لا وهجٌ ، ولا أرجٌ بها
فكأنها من مزنـةٍ تتحدرُ
ما كنت أحسب أنهـا تتغيرُ !

. . .

وأرى الشتاء تطاولتْ أيامـه
وازداد عسفاً قلبـــه المتحجرُ

كم زارني وكشفتُ عن صدري له
فاقـــام لا يزهو ولا يتكبَّـرُ

ما زلت أذكر كيف كان لهاثهُ
من دفءِ أضلاعي يذوب ويقطرُ !
ما كنت أحسب أنه يتغيرُ !

. . .

وأتيتُ مِرآتي وعطري في يدي !
فبصرتُ ما لا كنت فيها أبصرُ

فخفضتُ طرفي ، ذاهلاً متوجعاً
ونفرتُ منها عاتباً أَستنكرُ

خانتْ عهودَ مودتي ، فتغيرتْ
ما كنت أحسب أنها تتغيرُ !!

١٩٥٨

هيكَلي

هو ذا هيكلي ! رجعتُ إليه
لأصلّي وفي فؤادي حنيني

لم أجد فيه روعةً من جمال
أو جلالٍ بسحرها تطويني

قد تداعت جدرانه وتهاوى
فوق محرابه غبارُ السنين !

. . .

هوذا هيكلي ! فيا وحشةَ الغربة
نامي على بقية عمـــري

طالعتني أطيافُه من كوى الشوق
وغابتْ ما بين صحوي وسكري

وسمعتُ الحبَّ الشقيَّ ينادي :
يا حبيبي !!« فقلت يقصد غيري»

. . .

هـــوذا هيكلي ! فماذا حباني
بعد طول النوى ماذا رأيتُ

تعبتْ فيه ذكرياتي فنامت
وإذا شاء هزّهـــا لأبيتُ

فتلمَّستُ في دجـــاه مـكاني

«ثم أشعلت شمعتي .. وبكيتُ»!

١٩٥٧

جبل

معاذ خلالك الكبر ما كنتُ حاقداً
ولا غاضباً إن عاب مسراي عائبُ

فكم جبلٍ يغفو على النجم خدُّه
وأذيالُه للسائمات ملاعبُ !

نظرتُ إلى الدنيا فلم ألفَ عندها
كبيراً أداري أو صغيراً أعاتبُ

وما هان لي في موقف العز موقفٌ
ولا لانَ لي في جانب الحق جانبُ

فيا غربةَ الأحرار ما أطول السُّرى
وملء غيابات الدروب غياهبُ

١٩٥٧

ام

أمشي على رِسلي في مدرج الرمل
حيران أستقصي دربي ، وأستجلي
والريح في سخر مني ، ومن ظلي !

. . .

ما المجدُ ، يا دأبي ما الخلد ، يا شغلي
ما نشوة الدنيا من موسمي الجزلِ !
يا طيب أهواءٍ تغري ولا تُسلي !!

لم يُغنني عنها   مَن سار مِن قبلي

. . .

كم موكبٍ بعدي   في لهفة السؤْلِ
يمشي على دربي   للبحث عن ظلي
في مدرج الرملِ

١٩٤٩

دنيـــا

سيري كما شـــاءَ التجنّـي
واشفي غليلك واطمئني

مــا أنتِ يا دنيا وما
أبقيتِ للأحـــلام مـني

تطوينَ بالإغـــراء أيامي
وأطويهـــا تمنّـي !

أنا في نديّك أســال
السّمارَ عن كاسي ودَني

غنّيتُ حبّك وانتشيتُ
وكم فتىً بعدي يغنّي

واصيحةَ الحــلم الأخيرِ
إذا تفتّح عنه جفــني !

١٩٤٨

دروب

« إلى الدكتورة سنية حبوب »

وقفتُ أمــــامَ دروب الحياة
مثارَ الأماني ، شريدَ الفِـكَـرْ

فمرّت مواكبُ رُوَّادها
تخبّ إلى الموعــــد المنتظرْ

وخلفَ خُطاها انتفاض التراب
وليس لهــــا فوقه من أثرْ

فسرتُ عليها ، ودنيا الرضى
أبدّد من ليلهـــا ما اعتكرْ

وألفيتني بعد طول السّرى
جناحاً أصاب المدى فانكسرْ

لمستُ على ريشه المـــرتمي
تهاويل حـــلم مضى واندثرْ

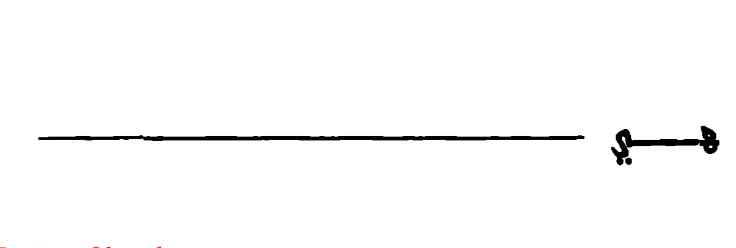
فتلك ليـــالٍ ... على كبرها
تخطّفتُ منها أعـــزّ الثمرْ

وأرسلتُهـــا في شفاه الحياة
نشيدَ فتونٍ ، ونجوى سَمَرْ

وهذي ليالٍ ... على زهدها
أرتني النعـــيم غريبَ الصورْ

فرحت أسائل عـــن موعدٍ
أضمّد فيه جـــراح البشرْ

١٩٤١


هـــي

هي والدنيا

هي والدنيا .. ومـــا بينهما
غصني الحرّى وأهوائي العنيدهْ !

رحلةٌ للشوق ، لم أبلـــغ بها
ما أرتني من فراديس بعيدهْ !

طال دربي .. وانتهى زادي له
ومضى عمري على ظهر قصيدهْ

١٩٦٢

عودي

وكان الليل والثلج والمدينة الهاجعة فوق
إحدى هضاب الهملايا. وقصرها المنفرد

قالتْ مللتكَ . إذهبْ . لست نادمةً
على فراقك .. إن الحبَّ ليس لنا !

سقيتك المرَّ من كاسي . شفيتُ بها
حقدي عليك .. ومالي عن شقاك غنى !

لن أشتهي بعد هـذا اليوم أمنيةً
لقد حملتُ إليها النعش والكفنا ...

قالتْ .. وقالتْ .. ولم أهمسْ بمسمعها
ما ثار من غضبي الحرّى وما سَكنا

تركتُ حجرتَها .. والدفءَ منسرحاً
والعطر منسكباً .. والعمرَ مُرتَهنا

وسرتُ في وحشتي .. والليل ملتحفٌ
بالزمهرير . وما في الأفق ومضُ سنا

ولم أكد أجتلي دربي على حدسٍ
وأستلين عليه المركبَ الخشنا ..

حتى .. سمعتُ .. ورائي رجعَ زفرتها
حتى لمستُ حيالي قدَّها اللدنا

نسيتُ مـا بي ... هزتني فجاءتُها
وفجّـرتْ من حناني كلَّ ما كُمِـنا

وصحتُ.. يا فتنتي! ما تفعلين هنا ؟؟
ألبرد يؤذيك عودي ..
لن أعـــود أنا !

١٩٦٥

« أوراق ميت »

إنها حجرتي .. لقد صدىء النسيانُ ـ
فيها .. وشاخَ فيها السكوتُ !

أدخلي بالشموع .. فهي من الظلمة
وكرٌ في صدرهـــا منحوتُ

وانقلي الخطو باتِّئادٍ فقد يجفلُ ـ
منكِ الغبـــارُ والعنكبـوتُ !!

عند كأسي المكسور .. حزمةُ أوراقٍ
وعُمرٌ في دفّتيهـــا شتيتُ

إحمليها .. ماضي شبابك فيها ..
والفتونُ الذي عليه شقيتُ

إقرأيهـــا .. لا تحجبي الخلد عني
أنشريها .. لا تتركيني أمـوتُ
١٩٦٥

عدتِ لي ؟ هل عاد من غربته
شوقكِ المضطربُ المضطرمُ ؟

كم تخطفتِ الغواياتِ بـــه
وجناحاه الظّما والنَّهمُ !

أي كأسٍ شئتِ أن تلهيْ بها
لم يكن يرشح منها النَّدَم !

عدتِ لي ؟ يا طولَها من غربةٍ
خدرَ الصبرُ بهــــا والألمُ

كيف ألقاك ؟ وهل يرضيك أن
يتعرّى جرحيَ الملتئمُ ؟

أمنياتي .. ذهبَ الماضي بهـا
وخيالاتي .. طواها العـــدمُ

وبقـــايا ذكرياتي تعبتْ
فهي لا تبكي ... ولا تبتسمُ !!

١٩٦٦

حوّاء

« لم تبكه لأنه مــات .. »

غابَ ، ولن يرجــــعَ ، يا ليتني
أعطيته بعض أمـــاني الحياةْ !

يا ليتني أطبقتُ أجفانـــه
قبل الردى ، بالقبلة المشتهاةْ !

أشعــــرُ بالوحشة من بعده
ولم يكن لي فيه من أمنياتْ !

كم مرَّ بي والشوق يُزري به
ولم يجد مــــني إليه التفاتْ !

ما لي إذا مـــا زارني طيفه
أمسح من أجفاني الدامعاتْ

ليس سواه ، بـــين أترابه
كان يرى .. أني أحلى ..

فتـــاةْ ..

١٩٦٢

إني لأعجز

أتيتني ! أيُّ عطفٍ
عــــلى الوداع تبسَّمْ

أرنو إليك ، وطرفي
يجول في كل مُبْـهَـمْ ..

على شفاهــــك بوحٌ
بصمته يتلعــــثمْ ..

لا تطلعيني عليه

إني بما فيه أعلمْ ..

. . .

عودي، كما جئتِ طيفاً

من راحة الخير أرحمْ

أخفتِ أن أتجنَّى

على هواك وأندمْ

لا يا أعزَّ وأغلى

ما في الحياة وأكرمْ

إني لأعجزُ من أن

أخافَ أو أتألمْ !!

١٩٦٠

المنحني

كانا يتجولان في احدى روابي كشمير الساحرة قالت له : « كل هذا الجمال لنا » . ثم صمتت في خشوع . ثم بكت .

أمسكتِ بي باسمةً لاهيهْ
على حواشي الربوة الزاهيهْ

وملتِ في صمتٍ .. وطوقتني
وملء عينيك رؤىً خافيهْ

رفيقتي .. أكرمُ ما في غدٍ
حكايةُ الخمـــرِ عن الداليهْ

سنقطع الدربَ على المنحنى
وللسنا الإيماءةُ الهاديهْ

وبعدنا.. يبقى الشذا والندى
والنسمة الرائحةُ الغاديهْ

والبلبلُ الشادي على أيكةٍ
والنرجسُ الحاني على ساقيهْ

ونشوةُ العشاقِ في همس ما
قلناه في أيامنا الماضيهْ !!

. . .

رفيقتي .. أهوتْ على ساعدي

شاحبةً .. وانفجرت باكيهْ !!

١٩٦٢

لن تعثري عبر الدجى .. إنـــه
أسنى سراجٍ كانَ في بيتي !

حملتِه في غفلتي ، بعدمـــا
أسرى بك التيهُ ، وأسريتِ

وما تلفَّتِّ به صوبَ مــا
أضحكتِ من عمري وأبكيتِ

ليتك .. لما سرت في نوره

ذكرت فيه ..

قطـــرةَ الزيتِ !

١٩٦٠

لستُ أحيا

معولي في يدي .. وأصنام دنياك ـ
ترينى مــــا ضاق عنه خيالي

لم يزل بعدُ في بقية أيامي ـ
مجــــالٌ إلى بنات الليالي

لستُ أحيا إنْ لم أُمِتْ كلَّ يومٍ
فيكِ شيئاً .. عبدتُـه في ضَلالي

لا تنتقي كلماتك

حدثيني عما يضجّ بجنبيكِ
وعمـــا يثور من رغباتكْ

عن لياليك .. عن شجونك .. عما
خبّـأتْـه الدموع في بسماتكْ !

ما أنا منك ؟ .. ما تريدين مني ؟
أنا بعض العثارِ من خطواتكْ !

حدثيني .. قُصّـي جناحَ ظنوني..

حدثيني .. لا تنتقي كلماتك !

١٩٦٦

ايمان

« الفراشة المرحة تعتقد أن عمر
الكون ، وليس عمرها ، هو القصير »

فراشةٌ قالت لأختٍ لها :
« ما أبهج الكونَ وما أسنى

لكنني يا أخت في حيرةٍ
من أمره سرعانَ ما يفنى! »

. . .

رفيقةَ العمر لنـــا يومنا
فلنجنِ من نعماه ما يُجنى

لا تسألي عن غـــدنا ربّما
أيقظتِ من أشباحه الوسنى

١٩٥٨

كُنّا

كنّا ، وما مرّ على وهمنا
أن تسأل الأقداح عن خمرنا

ذاك الصّبا الريّان ولّى وما
علّمنا كيف تكون المنى !

فكم سحبنا ذيله في الرُّبى
ففتّق النسرين والسوسنا !

كنَّا .. وما أوجعها زفرةً
مخنوقة البوح ، وما أحزنا

تأملي لهوَ الليالي بنا
كيف جنى من روضنا ما جنى

لم يُبقِ من مجلى تهاويلنا
بين يديه أثراً بيِّنا !

إذا تلفتِّ إلى أمسها
لم تعرفي من أنتِ أو من أنا!!

. . .

رفيقةَ العمر جفاني الكرى
فوسِّديني الساعد اللّينا

مُرّي بجفنيكِ على جبهتي
واستعرضي العيش الفتيَّ السنا

وسلسليه قصـةً قصـــةً
وقرِّبيهِ موطنـاً موطنا

أريد أن أغفو وفي مسمعي
ما يستعير الحبُّ من حبنا !

١٩٥٠

بعض الطيور

« طير الاوز لا يغني إلا ساعة موته »

تصغين ؟.. أغنيتي رفَّاتُ أجنحةٍ
مـــا مسها في ليالي شوقه وترُ !

نثرتُها من جـــراحاتٍ مضمدةٍ
ومن منىً ليس لي في جودها وَطرُ

ردَّت إليك عهوداً مـــا نعمتِ بها
أيام .. أنتِ الصبا والزهو والخفرُ

ما أحزن الوردَ لم يُعرف له عبقٌ
وأضيعَ الغصنَ ، لم يُقطف له ثمرُ !

. . .

تصغين ؟ أي إيابٍ تحلمين بـــه
وأي دربٍ بـــه من خطونا أثرُ

لا تسأليني مـــا ترجوه أغنيتي
بعض الطيور تغني.. وهي تُحتَضَرُ!

١٩٦٤

عالم من نساء

« على رصيف المرفأ »

جنباً إلى جنبٍ .. نجرُّ الخطى
وفي مآقينا احتضارُ العزاءْ ..

كأننا طيفان قد أفلتـــا
من عالم الموتى ودنيا الفناءْ

لا لمسةٌ منّا .. ولا همسةٌ ..
أشقى المنى .. ما ضاق عنه الشقاءْ

وسلّنا من صمتنا .. موعدٌ
نادى بـــه المرفأ مرٌّ النداءْ !

وكان منّا موقفٌ لم يدع
في الشهقة الحرّى .. بقايا رجاءْ

تدري وأدري ، أنها فرقةٌ
ليس لنا من بعدها من لقاءْ

سارتْ إلى المركب .. مشدوهةً
معقـــودةً أجفانُها بالسماءْ

وغاب في اليمِّ .. وغابتْ به ..
وغابَ عني ... عالمٌ من نساءْ !!

١٩٦٤

لم أزل أسحب قيدي متعباً
وجراحي لم تزل تشتم قيدي !

أنا أقبلتُ عليه راضيــــاً ..
بعدما غيبتُ في عينيك رشدي

كم تغاضيتُ حياءً ، كلما
أومأتْ لي من كوى الإشفاق أيدِ

كلُّ أهوائك كانت بدعةً
من غواياتٍ ، عنيداتِ التحدّي

أخذتْ من كبريائي ما اشتهت
وتلهَّتْ بتباريحي ووجدي

فانطوى..في غيهب النسيان ذكري
وانتهى في ذلة الغفران حقدي !

وجفاني كل أترابي ، فما
حفظوا ودّي ، ولا أوفوا بعهدي

ما تبقّى .. غير هذا القيد لي
في بقايا الليل .. من هم وسهدِ

إنـــه عمري .. فلن أرمي به

لا أطيق السير في الوحشة .. وحدي!!

١٩٦٦

ان ذكرت

وتسائليني ' ما يريحُكَ ؟
ما أجيبكِ ؟ لستُ أدري !

غالبتُ فيك غـــوايتي ..
فخسرتُ فيها كلَّ كبري !

وتبعتُ طيفَك عاقـــداً
بالذيل منـه زمامَ أمري

كم وقفةٍ لي دون دارك
خضّبتُ بالذلِّ صبري

وغضضتُ من طرفي كأني
ما لمحتُ خيال غيري !

كم ليـــلةٍ حرّى ، على
إغرائها ، أرخصتُ خمري !

وأهنتُ تحتَ لهاثها
ما كان من زهري وعطري

وتسائلينى .. ما يريحك ؟
ما أجيبك .؟ لست أدري

أنا إن ذكرتُ نشرتُ عاري

أو نسيتُ .. طويتُ عمري

١٩٦٤

المرأة

تسلق الجبل الوعر ليعود بالجوهرة الكبيرة المتلألئة فوق قمته.

حــــكاية مـــــزوّرهْ ..
من قال : هذي جوهرهْ !

كانتْ على البعد ينابيـعَ
السنـــا المفجّـــرهْ !

سعيتُ في طلابهـــا
على الشعاب المقفرهْ

على مـــلاعب النسور
والضـواري المخـــدرهْ

وخلفَ أقدامي نثـــيرٌ
مـــن جراحي الخيّـرهْ

واخيبتي .. لم ألفَ إلاّ
كـــرةً مُبلوَرهْ !!

. . .

وعدتُ للسفح .. وصحبي
أعـــينٌ مستفسره !

تسائلني عـــن رحلـــتي
العجيبـــة المظفَّـرهْ

ولم أجبْ .. خفت على

خيالها أن أنحره ..

وكان منّي لفتةٌ

للقمة المسوّرهْ !

وشاعَ ملءَ ناظريَّ

الهالةُ المنوَّرهْ

والهفتي ..

أقسمُ أن

كانت أمامي جوهره !

١٩٦١

لم أصدقك حين قلتِ : سآتيك
وألقاكَ .. في فينّا الجميلهْ !

قلتِها .. بعدما ترنّحتِ بالكاس
ووسّدتها الشفـاهَ النحيلهْ !

إنها خطرةٌ على السكر .. مرّتْ
لم أعرْها من التفاتي قليلهْ !

وتناسيتُها .. فما أنا ممـــن
في زحام الرؤى أضلُّ سبيلهْ !!

وافترقنا .. ولم يمـــرَّ بجفني
منك طيفٌ .. عبرَ الليالي الطويلهْ

. . .

وتعـــرَّتْ على الشتاء فينَّا
واكتستْ بالغمائمِ المجدولهْ

وتلوَّى « الدانوب » بين يديها
متعباً .. ساحباً خطاه الثقيلهْ !

كان يوم بالدفء يغري ، وكانت
كل نفسٍ عن أختها مشغولهْ

جئتُ كوخي عجلانَ .. فابتدرتني
في ذهولي .. فجآءةٌ مستحيلهْ !

إنها أنتِ .. أنت جزت إليَّ السحبَ
والليلَ والريـاحَ البليلهْ ! .

لم أصدقك .. لم أصدق عيوني
لم أصدقْ قبلاتــكِ المعسولهْ

فتهالكتُ .. ممسكاً بذراعيكِ
على مقعدي ومـــا بي حيلهْ !

ما تصبَّاكِ؟ ما توهمتِ .. ما أغراكِ؟
ما زيَّنــتْ إليك المخيلهْ ؟

أنت لا تجهلين سفرَ حيـاتي
كيف لا تطرقين منه خجوله ؟ !

. . .

لم تجيبي.. مرَّغتِ وجهك في صدري
وأطبقتها الجفون الكحيلهْ

ودَعتنا إلى لقاها فينّا الحبِ
والثلج حـامل إكليلهْ

وانطلقنا .. وكلُّ مجلى فتونٍ
كنتِ تغشين.. ما عرفتِ مثيلهْ

وأوينـــا إلى مخابىء كهفٍ
ردَّ أيدي زمانـه مغلولهْ !

في زواياه للعنــــاكب مسرى
لم تشا صحبةُ الأسى أن تزيلهْ !

ومصابيحه ، وراء دخانِ الشرب
أوْهى من أنــ تفضّ فلولهْ

وعلى كل مقعدٍ وجــــدار
منه .. أسماءُ فتيةٍ مجهولهْ

أغرقتْ في الحياة رحبَ مداها
ورَعتْها كريمـــةً وبخيلهْ !

قلتُ ما تشعرين؟ ما زالت الحانة
هذي ، بصحبهـــا ماهولهْ

ربمـا كأسها نفضُ شذاها
ربمـــا شوقها نبلُ غليلهْ !

فتشبثتِ بي .. وطرفك يخفي
في اضطرابٍ خشوعَه وذهولهْ

وصحوْنا .. على سؤال مغنٍّ
هدَّ من كاهليه عبءُ الكهولهْ

« ما تريدان أن أغني » .. فقلنا
نسماتُ الشرق الحبيب عليلَهْ !

فتغنّى .. والشيب في مفرقيه
كان أشجى .. لقد سمعنا عويلهْ !!

. . .

ونهضنا .. ولم نخيِّبْ له ظناً
وسرنا.. والليل يطوي ذيولهْ

وبلغنا الكوخ الصغير .. تخيرتِ
سريري .. لم تستطيبي بديلهْ !

وتهاوى ما بيننا من حجابٍ
فانتشى جدولٌ.. ورفَّت خميلهْ !!

وأطلَّ الصباح نشوانَ .. يروي
عن هوانا هديرَه وهديلهْ !

. . .

لست أنسى يوم الرحيل .. وشيئاً
من حياتي.. شيَّعتُ فيه رحِيلهْ !

وتوالتْ عليَّ منــــك رسالاتُ

شجونــٍ .. وأمنيات نبيله !

وبلوتُ الصبرَ المبرّح حتى

لم أطق حملَه ولا تعليلهْ

فاتيتُ الحمى وكان وشاحُ الليل

ملقىً على النجوم الكليلهْ !

وحثثتُ الخطى .. ووحشة أيامي

الخوالي .. على خطاي قتيلهْ !

وتوقفتُ عند بيتك .. ما أوجعها

وقفـــةً هناك .. ذليـلهْ ؟

عشت فيها هنيهةً .. خاشعَ الطرف

ذبيحَ الرجا ، جريحَ الرجولهْ

عشيت مقلتاي ، حين تراءى

ليَ طيفان ، يبغيان دخوله

قد سمعت الصدى لقبلة عربيدٍ

وسكرى .. وفاجرٍ وخليلهْ !

وتراجعتُ .. تاركاً في سماع الليل

أشلاءَ قهقهاتٍ طويلهْ !!

. . .

مزِّقي هـــذه الرسالة ، إني

قلتُ فيها ، ما لم أردْ أن أقولهْ

ليس في هيكلي مجالٌ لشمشوم

جديدٍ ... فعربدي .. يا دليلهْ

١٩٦٢

الطيف

« طالعه طيفها وهو يخاصر
فتاة في حلبـــة الرقص »

على شفتينا ثار طيفك وارتمى
فأبعد وهجَ الشوق والعطر عنهما

وتسألني ما بي ... فأخنق زفرتي
وأرنو إليها موجعاً ، متبسما !

وأرجع عنها حاملاً منك وحشتي
وفي خافقي جوعٌ وفي مقلتي ظَما

وأغرق في كاسي عهودَكِ كلَّها
فما أعرف الأشياء إلاَّ توهُّما !

حنانكِ ، أبقي لي بقيةَ سلوةٍ
ألوكُ بها الشهدَ الذي كان علقما

فكلُّ جمالٍ صاح بي منه هاتفٌ
إليك تناهى أو إلى سحرك انتمى !

ولي خطواتٌ بعدُ في درب غربتي
سأقطعها وثباً وأخضبها دَما

وألقاكِ بالحب الذي تعرفينه
ولن تسألي عنه .. ولن أتكلَّما

١٩٦٢

كان التلاقي

لم أودعك .. خفت أن ترجعيني
عن فراري وتُحكمي من وثاقي

خدعتْني غــوايتي ، بتهاويل
حــاةٍ سخيةِ الأشراقِ

وأثارتْ عــليَّ منك شجوناً
صَغُرتْ عن إثارة العشاقِ !!

فتناءيتُ عنك.. أضرب في الأرض

بأقـــدام متعبٍ أفّاقِ !

كل نادٍ يمته، لم يَطب لي

فيه كأس ولم يرقْ فيه ساقِ !

كل حلمٍ خبّأتُه في خيالي

لم تشاهد أطيافَه أحداقي !

وأطلت المطافَ في غيهب العمر

ألفُ الإخفـــاق بالإخفاقِ !

وأواري بين الجوانح ذكراك

فتطفو على حواشي المـآقي !

. . .

عدت من رحلتي.. إليك وجرحي

لم تلامسه راحتـــا إشفاقِ !

الوجومُ المرير في طرفك الذاهل

أقسى مـــن مصرع الأشواقِ

ليس فيه من الليالي المواضي

أيُّ حدبٍ على الليالي البواقي

ويح نفسي طال اغترابيَ عن نفسي

فوا وحشتاه ..

كان التلاقي !

١٩٦٤

أشهى من أن يدوم

وحدي.. لوانَّـك أقصى

من ظل كاسيَ ظلاًّ !

أبلي عليك الليــــالي

بهاجسٍ ليس يبلى

ولم أزل في ذهولي

أبغي لسرك حلاًّ !

أردتِ أنت انطـلاقي
إلى الخبـاء المعلّـى !

إلى ملاعب دنيا
ما زارها الوهمُ قَبلا

ولم أكن لك كُفْـواً
ولا لحبكِ أهـــلا

وغبتِ .. لم تتركي لي
من القليـل الأقـلا

لم أدرِ .. كيف تصدّى
لي النعـــيم وولّـى !

لعلّه ، كانَ أشهى

من أن يدوم وأحلى !

١٩٦٠

ذاك دأبي

شاردٌ في عـــالمٍ فوق مدى
كلِّ ظن .. ذاك ما قلتِ لصحبكَ

لم تقولي الصدقَ .. أو .. بالغتِ في
ما تراءى لك من بعدي وقُربكْ

خطوةٌ واحدةٌ أهبطُها
تلمس الأرضَ .. وتُلقيني بدربكْ

ذاك دأبي كلما اشتقتُ إلى

مِتعة الغفلةِ أو..متعةِ حبِّـكْ !!

١٩٦٣

لا تصفحي عني ولا تغفري
إني أحب المـرأة الحاقده !

قولي ابتعد عني ، قولي انطلقْ
ما شئتَ في أهوائـك الفاسده

يجرح من زهوي تغاضيكِ عن
أمسي وعن أحلامكِ الشارده

لو بين جنبيكِ بقايا هوىً
لكنتِ في هذا اللقـا زاهده

محـاجرُ البركان لم تكتحلْ
بالثلج .. لولا ناره الهامده !

١٩٦١

أتغضبين ؟

أحببتُها .. وشاء أنْ
يشفي الخلودُ نَهمَهْ !

لكنَّها غضبى ، ترى
أحلامها منهزمه !

تغار من .. أطيافها ..
الرَّاقصة المبتسمه !

وكل طيفٍ صغتُه

من أحرف مضطرمه !

. . .

وأنتِ .. كيف جئتني ؟

عـــبر الرؤى المزدحمه

يا بدعةَ الجمـــال .. يا

آلاءه يا نِعَـمـــه !

أتغضبين مثلهـــا

إذا غدوتِ كلمه ! ؟

١٩٦٠

« ترجمة رسالتها »

وتلاقينا غريبين هنـــــا
لم تكن أنت .. ولا كنت أنا !

بدّلـتْ منـا الليالي وانتهى
عبثُ الكأس ، وإغراء الجنى

موسم الورد أخذنا عطره
وتركنا فيه غصناً ليّـنـــا !

وافترقنا .. ونأي العهد بنا
ونسينا ، وتناستنا المنى !!

لا تثر ذكرى هوانا ، ربما
نفّـرتْ عن مقلتيّ الوسنا !

آن للنعش الذي أودعته
كل أشلاء الصّـبا أن يُدفنا

إمضِ من دربي ، فما أحسبه
في خريف العمر إلا هيّـنا !!

١٩٥٢

للحب ، هذا العمر ، يا دنيا
لا تحجبي من خيره شيَّا !

لولاه ، ما كنتِ الجمالَ ولا
فجّرتِ لي نعماءه وحْيا

كيف الحياة إذا رزئتُ به
وطويتُ سفر عهوده طيَّا !

الكونُ أوهى بعـده سَنداً

والموت أشهى بعده لُقيـــا !!

. . .

وتمرٌّ بي الأيـــام .. يا دنيا

وتسلُّ خيرك من يدي بغيـا

وأسيرُ خلفَ ركاب وحشتها

ووراء جفني تغـــرق الرؤيا

ما كان أغربَ كلَّ أخيلتي !

الحبُّ ماتَ .. ولم أزل حيّـًا !!

١٩٥٨

في النجوى ، من نِعَمِ اللقيا
ما أشقى الحبَّ وما ظَلَمَهْ !

. . .

بتْنا ، وذراعانا ، قَيْـــدا
دنيـــا ، بالفتنةِ مُتَّسمهْ !

ومراشفنا ريّا ، وجـــوانحنا
بالنشـــوة مضطرمـــهْ !

ومحـــاجرنا غَرْقى فـــيما

سَكَـبتْهُ يقظتُنا النَّـهِمَهْ !

وانفضَّ الليل.. ومـــا مرَّتْ

في مسمعه ، مِنَّا ، كلمهْ !

١٩٥٢

جميل منكِ

حكايةُ حبِّنا ختمت
فما أشجى وما أقسى

جميلٌ منكِ أن تعفي
وأجمل منه أن أنسى

١٩٦٣

غريبان

كيف عشنا غرباء في الحمى
كيف قطّعنا الليالي نُوَّما

كم تلاقينا وما بحتِ ، ولا
بحتُ واخترنا على الجرح الظما

ومضى كلٌّ إلى ملعبـــه
يخنق الشوق ويخفي الألما

موعدٌ كان على الأرض لنا
وأتيناه ... ولكن بعدما !

. . .

حدثيني عن سنا الفجر الذي
طافَ بالطيبِ وزقّ البرعما

وجلا الدنيا فتوناً مترفاً
فتلقّـــــاه ضحـاها نَهِما

وطلعنا وادّكارُ العطر في
خاطرينا يتحرّى الموسما

. . .

حدثيني عن أمانينـا التي
تزحم الأفق وتغزو الأنجما

أين نمضي؟ وصدى أغلالنا
يجرح السمعَ ويثني القَدَما

ربَّ طيفٍ، عاتبٍ، نعرفه
جال في أحداقنا مستفهما

وإذا القبلة نادتنا، حَبا
بين شقيْ شفتينا وارتمى

* * *

حدثيني، ربما تدرين يا
فتنتي كيف نزود المبهما
١٩٥٦

مظلومـــة

لعوبٌ لو عرفناهــا
لمـــا كنّـا ظلمناها

فــكمْ مرّتْ ليالينـــــا
على تجريح ذكراها

فمـــا برزتْ لنا إلاّ
وضحكتها ، وأصداها

توزعها هنـــا وهنا
وتغمـرنا بعـدواهـــا

فقلنا : ترفُ الأيام
أعطاها ، وألهاهـــا

. . .

وأمسِ ، نديُّـنا الحافلُ
بالأطياب حيَّـاهـــا

وقامت بيننا سكرى
وفي يدهـــا حُميَّاها

وقالتْ ما لهذي الكاس
ولّـى سحرُ ريَّاهـــا

ومـــا لأمرِّها أمسى

على شفتيَّ أحـلاهـا ..

مـــتى تُغرق أيامي

وأحلامي فأنساهـــا

وجـــازتنا مقهقهةً

وهـــازئةً بدنياها

. . .

عرفنا كيف بنتُ الدمع

لا يبتلُّ جفناهـــا

١٩٥٥

غجرية

مرَّت بنا ليلتانِ بالسهد موصولتانِ
والعشب مضجع رفق والدوح ستر حنانِ
وأنتِ مجلى ذهولٍ مخضب عنفواني !

. . .

ما تكتمين ؟ أجيبي يا ثورة في كياني
وتوبةً عن ضلالي ومنَّةً من زماني
فيم الوجوم ؟ أريني عينيك ، ما تخبراني

تأبين ؟ ليت عناني ما زال طوع بناني
وليت حبَّك يفتضُّ عقـــدةً في لساني

. . .

تشبثي بي ، وزيدي ما شئت مني تداني
وخبئي فوق صدري الوجهَ الذي لا يراني
ما أقربَ الفجرَ منَّا ومن سرابِ الأماني

. . . .

حسناء إن جناحيْ طيرين يصطفقانِ
ونجمة من بعيــد تقول : لن تذكراني

١٩٥٣

إنتقي لي حكاية

عدت من بابل ، فخفَّ صحابي

لسماع الغريب من أسفــــاري

كلهم خاشع ، يقلّـب فيَّ الطرفَ

بين الاعجاب والإكبارِ

أسكرتْـهم حكايةُ الترف الدافق

في غفــلة من الأقـــدارِ

من نـداء الـثمار للعابرِ السالي
لغمـزِ الألحان للأوتارِ

. . .

عدت من «نينوى» فخفَّ صحابي
لسماع الغريب مـن أسفاري

كلهم خاشع يقلب فيَّ الطرف
بـيـن الاعجاب والاكبارِ

أذهلتهمْ حكايةُ العدم الماثل
في قسوةٍ من الأقـدارِ

من تثنيٍّ الأشباح بين المحاريب
لنجوى الأحجار للأحجارِ

. . .

عدتُ من عالمٍ ، تألق في عينين

فياضتـــين بالأســـرار

فيهما يغـرق الخيـالُ ، وتنهار

الأماني ، وتستحمُّ الدراري !

كثُـرتْ فيهما ،حكاياتُ نعمائي ،

وعزَّتْ ، وحار فيها اختياري

ما تراني ، يا بدعة الحسن ، أروي

لصحابي ، وكلهم في انتظاري ؟

إنتقي لي حكايةً ، ربما شكَّ

صحابي في الصدق من أخباري

١٩٥٣

شاهدت بعينيك الدنيا ..
مِتعـــاً أبـكارْ
ومطافَ خيالاتِ عُليـــا
تهمي أسرارْ !

. . .

أومـــاتِ إليّ ولم أسألْ
أيـــنَ التّسْيارْ

وتبعتك أستقصي المنهلْ
وأغــص أوارْ

. . .

ألرِّحلةُ ؟ ما لي والرحلهْ
مـا لي أختـارْ
أن أحمل ما أخشى حملَهْ
في وهج النـــارْ

. . .

عفواً يا بدعةَ خــــلاقٍ
سَمـــحٍ جبّارْ
إن ماتت عندك أشواقي
وأضعتُ الغارْ !

. . .

خفَّاشٌ فوجئ بالنورِ

فارتاع وحارْ !

وهوى بجناحٍ مكسورِ

في ظلّ جدارْ !!

١٩٥٢

يوم حَطَمتُ دميتي
على صخور نقمـــتي
هتفتُ بي : وا فرحتي
عـدت إلى حريتي !

. . .

ومـــرّت الأيام بي
عابثـــةً بســـلوتي

فلم تطالعني بنعمي ـ

دمعـــةٍ أو بسمة !

فلا رؤىً في غفوتي

ولا مُنىً في يقظتي !

أيُّ حيـــاةٍ هـذه !

رتيبـــةٍ ، مملّة ،

بعيدةٍ عـن مأربٍ

بريئةٍ مـــن علّةٍ

مالي إلى الماضي أعود ـ

ثائرَ التلفُّـــتِ ؟

مستعرضـــاً جراحه

بلهفةٍ ، وحسرةٍ ؟

وا وحشتي.. في وحدتي

في القيد من حريتي !!

١٩٥١

العــودة

أعـــود يا رياحْ

في الليلة الليـــلاءْ

من زورة الأهــواءْ

والتيــــه والعنـــاءْ

مخضَّباً جــــراحْ

. . .

أعـــود يا ألمْ

ويشهق   النـــدمْ

وتغـــرق   الأشبـاحْ

في   غيهب   العـــدم

. . .

ويومـــىء   المصباحْ

من   بيـتي   الصغـير ،

من ملجاي الأخـــير

وأسرع   الخطى

وتفتح   الأبواب   ..

لا عُتبَ ، لا إعتابْ !

. . .

وأرتمـي على

سرير أحـــزاني

وفوق أجفاني لمساتُ تحنانِ

ومـلء آذاني

همساتُ غفرانِ

١٩٥١

مساءَ الخير . كاد الليل ـ
يسحب ستره عنَّـــــا !

وما زلنا نهزُّ الشوق ـ
إن أغفى ، أو استأنى !

فـــلا أكبادنا تُروى
ولا أقداحنا تفنى ..

ولكن .. طالما خفنا

من العذّال ما خفنا !

. . .

مساءَ الخير .. خلي الجفن –

يلقى إلفَه الجفنا

وطوفي في نعيم العمر –

من مغنى ، إلى مغنى !

ولفّي بيضَ أطيافي

على أهدابك الوسنى

. . .

مساءَ الخير .. هذي قبلة –

عجلى .. فما أهنا !

وهـذي .. ضمـةٌ أخرى
فما أشفى .. وما أحنى

أأمضي..؟ من يطيق البعد ـ
عن فردوسه الأسنى

وفيم نقيم للعـــذّال ، ـ
يا حـوريتي وَزْنـــا !

ليأتِ الفجرُ .. ولينقلْ
حكايةَ حبِّنـــا ، منّـا !

١٩٥٠

مراهقة

«يُسمعها شعره وهي شاردة ذاهلة»

شئتِ ، فغنيتُ ، كما تشتهينْ
وكنتِ لا تصغين ، بل تحلمينْ
يا للأمـــانيِّ ، ويا للحنينْ
حسناء لا تُفضي بما تكتمينْ ..
مـــا بيننا قافلةٌ من سنينْ
أنا السُّـرى في المنحنى المبهمِ !
وأنتِ حلمُ الطيب في البرعمِ

. . .

ما لكِ أغضيتِ وأغضى الجمالْ
في طرفك الساهي وغصَّ السؤالْ
من أين ، من أين ، وبيض الليالْ
مرَّتْ بنعمائي مرورَ الخيالْ
لو جئتني والفجر سمح الظلالْ

كانت يدي في حبِّك الملهمِ
زرَّتْ عُرى برديـــكِ بالأنجمِ

١٩٥١

لا تندمي

لا تندمي يا أخت ، لا تندمي
ما زال بعض الطيب في الموسمِ

ولم تـزالي في سمـاع الدُّنى
أشهى أغـــاني الشاعر الملهمِ

سللتني مـــن عالمٍ بيّـنٍ
وسرتِ بي في عـالم مبهمِ

واخيبةَ الحلم الذي عشتِ في
دنياه ، يا ليتـــك لم تحلمي

أنا ابن هذي الأرض لم يثنني
عن فمها ما جرَّحتْ من فمي

حسبي فكم أفرغتُ في وحشتي
كأسي، وكم غنيتُ في مأتمي!

١٩٥١

طــــموح

أحببتني ؟ أحببتِ أن تلعبي
وتسحبي الذيلَ على الكوكبِ

وتسمعي نجـــواك مخضلةً
على شفاهِ الزمنِ الأشيبِ

أمنيةٌ ، أدركتِـها فاغرفي
ما شئتِ من نعمائها واشربي

• • •

مررتِ بي فالتفتتْ سروةٌ
إلى بقـــايا أمسها المعشبِ

وقلتِ أهواك ، فلم يختلج
شوقاً إلى الكأسِ فمُ المتعبِ

عفوَ الهوى ، لا تجرحي كبرَه
وكبرَ هذا الوترِ المطربِ

إني لتشقيني الدموعُ التي
تخفين فيها بسمةَ المأربِ

يكفيكِ يا حسناء أن تشتفي
مني ، وأن أملي وأن تكتبي

١٩٥٠

الخزّان الأكبر

« رآها في مدريد ، وفي لحظة خاطفة شعر انه عاش مع عينيها الوحشيتين في عصر من العصور ، وقذف عقله الباطن ، هذا الخزان الأكبر ، اثر ذلك الشعور الخفي بالكلمات التالية : النيل ، المعبد ، الكهان . سألها إذا شعرت شعوره فظنته يهذي » .

عيناكِ سوداوانِ وحشيَّتانْ

أقرأ في طرفيهما عمري !

فكم طواني في مداه الزمانْ

وما طوتْ نجواهما صبري!

فهذه ليلتنا الحاليهْ

عادت بأشتات المنى الغاليهْ

ليلة نام النيل مفترا

محتضناً حسناءه البكرا

وزُمرُ الحسانْ

في رقصها الفتانْ

تواكبُ الألحانْ

بالصنج والمزهرْ

والندّ والعنبرْ

وخلفها الكهانْ

والمعبد الأكبرْ !

ونحن . هلْ تذكرين ؟

كيف انسللْنا

كيف شفينا الحنين

وما سألنا !

وفي حمى نخلهْ

ترنَّحتْ قبلهْ

فسلسلت نهلهْ

فاطفأت غلَّهْ !

وبعدها ! لم نلمح الفجرا

ولم تزل ليلتنـــا سرا

أعرف منها هذه الذكرى

ما بك يا حسناء ، يا سمرا ؟

يا قطعة من روحي الحرّى

أراك لا تدرين ما مرّا

من أنت ، ردي على سؤالي

ولا تحدي مـدى خيالي

أتنكريني ، وتعرفيني ؟

وتسأليني وتمنعيـني !

ويح يقيني !

. . .

لا بد أن يحنو عليَّ الزمانْ

وأن تلاقيني بفيض الحنانْ

عينان ، سودان ، وحشيتان !!

١٩٥٠

تمويه

وتســــالني وتسالني

وأسمعهـــــا حكاياتي

ولا أخجل من شرحي

لهـــا شتّـــى غواياتي

ولا من فضّ ما صاغته

في النجــوى رسالاتي

وتسألني ، وأسمعها ..

وأجرح وجهَ مرآتي

وأحمل قدس آلامي

وأخفيها ببسماتي

هوىً في مغرب الأيام

مشبوب المنى ، عاتِ

نسيتُ رعاية الماضي

عليه ، ووحشة الآتي

١٩٤٩

زنبقة

«تعود أن يقطف الزهر ، ليقدمه إلى أحبابه»

ألفيتها مخضلةً في روضهـا
والفجر بـين ذيوله يطويها

حتى إذا انتفضتْ عليه ، تجمعتْ
أنفاســه ، وتجمدتْ في فيها

وتمايلتْ تيهاً ، بعرس فتونها
وزهتْ وعرسُ فتونها يبكيها

والطيب مسفوحٌ على جنباتها

يهمي على روحي بمـــا يشجيها

فلويتُ في شبه الذهول أناملي

وقطفتها .. لهفي لمن أهديها !!

١٩٤٧

طهر

«خجل العذراء، صدى لرغبة
مكبوتة، ولكن حب هذه العذراء...»

ألفيتُها ساهمةً
شاردةً تأمّلا

طيفٌ على أهدابها
كسّرها تنقُّلا

شقّ وشاح فجرها
خميلةً وجدولا

وماج فيهـــا رعشةً
حرّى وشوقاً مُنزلا

ناديتُهـــا ، فالتفتتْ
نهـداً ، وشَعراً مرسلا

واللحظ في ذهـــوله
مغـــرورق تململا

طوّقتها ، يا للشذا
مطوّقـــاً ، مُقبّلا

فمـــا انثنتْ حائرةً
ولا رَنتْ تدلّلا

ولا درتْ وجنتهـــا

من خجـــل تَبدُّلا

كأنها في طهرهـــا

أطهرُ من أن تخجلا !!

١٩٤٦

وداع

«كانت تخجل كلما مر بهـــا ، فأوقفها
مـــرة ، ورد إليها رسائلها ...»

قفي ! لا تخجلي مني ،
فما أشقاكِ أشقـــاني

كلانا مـــرّ بالنعمى
مرورَ المتعب الواني

وغادرها كومض الشوقِ
في أحداق سكرانِ !

. . .

قفي ! لن تسمعي مني
عتابَ المدنف العـاني

فبعد اليوم لن أسأل
عن كأسي وندماني

خذي ما سطّـرتْ كفاكِ
من وجد وأشجانِ

صحائف طالما هزّتْ
بوحي منكِ ألحـاني

خلعتُ بها على قدميك
حـلم العالم الفاني !

لنطوِ الأمس، ولنسدلْ

عليه ذيلَ نسيانِ

فإن أبصرتني، ابتسمي

وحييني بتحنانِ

وسيري سيرَ حــــالمةٍ

وقولي ... كان يهواني !

١٩٤٦

امرأة وتمثال

« عرفها المثل الأعلى للجمال ، والتقى بها بعد عشر سنوات ، فإذا ذاك الجمال أثر بعد عين ، فتألم ، ولما عاد إلى بيته كانت صورة تمثال فينوس أول ما وقع طرفه عليه . »

حسناء ، هذي دميةٌ
منحوتةٌ من مَرْمرِ

طلعتْ على الدنيا
طلوع الساخر المستهترِ

وَسَرَت إلى حرم الخلود
على رقاب الأعصرِ !

عريانةٌ سكرَ الخيالُ
بعريهـا المتكبرِ

أبــدآً ممتعةٌ بينبوع
الصّبــا المتفجّرِ

نرنو إليها في وجوم
الحــالم المستفسرِ

والطرفُ بين مُنقّلٍ
في سحرها ومُسمّرِ

وشّى بها إبداع ناحتها
الجمــالَ العبقري

ومضى ، وبنت رؤاه

لم تكبر ، ولم تتغيّـرِ

حسناء، ما أقسى فجاآت

الزمـــان الأزورِ

أخشى تموت رؤاي إن

تتغيّـري ... فتحجّـري !!

١٩٤٦

سر السراب

« رأى الشاعر في الصحراء ماء يتموج من بعيد ، فقيل له انه السراب ، فتأمله طويـلا ، وأحس بالرمل الملتهب ظمأ تحت أشعة الشمس ينام ليحلم بالماء ، وما هذا الذي يسمونه سراباً إلا أطياف حلمه اللذيذ ، وكان الشاعر على حال عاطفية قلقة فوجد في إحساسه هذا منفذاً لها .

كم جئت أحمل من جراحات الهوى
نجوى ، يردّدها الضمير ترنُّما

سالتْ مع الأمل الشهيّ لترتمي
في مسمعيك ، فما غمزتِ لها فما

فخنقتها في خاطري ! فتساقطتْ
في أدمعي ، فشربتُها متلعثما

ورجعت أدراجي أصيد من المنى
حلماً ، أنام بأفقه متوهما

أُختاه ! قد أزف النوى فتنعمي
بعدي فإن الحبّ لن يتكلما

لا تحسبيني سالياً ، إن تَلمحي
في ناظري ، هذا الذهول المبهما

إن تهتكي سرّ السراب وجدته
حلم الرمال الهاجعات على الظّما !!

١٩٤٦

اخاف عليكِ

أخاف عليكِ أن أطوي كتابي
وأقرأ مـــا به في مقلتيكِ

فكم من لهفـــة أودعت فيه
ولم أهمسْ بها في مسمعيكِ

تقاسمني الرضى والسخط ، لمَّا
نفضتُ زمام أمري من يديكِ

أراك على دروب الشوك حيرى
فكيف تُرى انتهتْ مني إليكِ

ليحزنني اكتئابكِ .. لا تطلّي
عليَّ بما تبقّى لي لديكِ

دعي ماضيَّ يطويني ، فإني
أخاف عليك من خوفي عليك

١٩٤٥

من انتِ

من أنتِ ؟ كيف طلعتِ في
دنياي ؟ ما أبصرتِ فيًّا !

في مقلتيكِ أرى الحيـــاة
تفيض ينبوعـــاً سخيًّا

وأرى الوجـــود تلفُّتاً
سمحاً وإيمـــاءً شهياً ؟

أَلَمتِ أحـــلام الصّبا

وخلعتِ أكرمها عليًّا ؟

مهلاً ـ فداك الوهمُ ـ لا

ترمي بمئزرك الثريًّا !

أنا في جديب العمر أنثرُ

ما تبقّى في يديًّـــا

عودي إلى دنياكِ واجني

زهرهـــا غضاً زكيًّا

يكفيك مني ، أن تكوني

في فمي لحنـــاً شقيًّا !

١٩٤٣

ليلة

« كان يعلم انها أول وآخر ليلة ... »

حسناء ، هـذا ليلي الممتعُ
فلتطوه في شوقها الأضلعُ

ما كنت أستنزف وجدي على
إغرائه ، لو أنه يرجـــعُ

فلتخفق النعمى ! على ضمة
لا أرتوي منها ولا أشبـعُ

واليسكر النجم على نفحةٍ
ينفثها من طيبك المضجعُ

أعطيتني أكرم ما صاغه
وهمٌ ، وما غنى به مطمعُ

فما لقلبي في غواياتـــه
يرنو إلى جرحي ولا يخشعُ

ما اعتاد أن أروي له غلةً
إلا إذا كان لي المنبـعُ !

حسناء ! هذي كبرياء الهوى
أهوت على أشلائـــه تدمعُ

لن أسأل الكأس على راحتي
من يا ترى بعدي بها يجرعُ

حسبي من الزنبق أن لا أرى
من أي شلوٍ في الثرى يرضعُ

فاستمهلي الليل ، فليَ في غدٍ
ما يُبعد الظلّ الذي أتبعُ

١٩٤٦

في موسم الورد

« كأني بالمرأة تحب من أذنها
لا من عينها ... »

هنا ! في موسم الوردِ
تلاقينا بـلا وعـــدِ

وسرنا في جلال الصمت
فوق مناكب الخـلدِ

وفي ألحاظنــا جوعٌ
على الحرمان يستجدي!!

وأهوى جيدُكَ الريّانُ
متكئاً على زنـدي

وشَعرك مائج ، والطيبُ
يفضح فجـوة النهــدِ

فكنّـا غفـــوةً خرساء
بـين الخـــد والخدِ !

. . .

مُنى قلبي ، أرى قلبَـك .
لا يبقى على عهــدِ

أسائل عنـــك أحلامي
وأسكتهــــا عـــن الردِّ

أردتِ، فنلتِ ، ما امّلتِ ،

من عـزي ومن مجـدي

فأنتِ اليـــوم ألحاني

وألحانُ الدّنى بعدي !

فما أقصره حبّـــا

تلاشى وهـو في المهدِ

فهذا الورد مــــا ينفكُ

فوق غصونـــه المُلْدِ

ولم أبرح ، هنا ، في ظلّ

هذا الملتقى ، وحـدي !

١٩٤٦

أضعتُـها ..وكانت الدنيا
الــتي أضعتُهـــا

عرفتُ بعض صحبها !
من بعد مـا عرفتها !

كم غمزوا من لهوهـــا
الطاغي وكم زجرتهـا

كم أقسمتْ لي أنها
تابتْ .. وكم صدقتها !

أين اختفت ؟ . كل
مغانيها اليتامى زرتها !

لم أبقِ داراً خلتُها
فيها .. وما طرقتها

أين تراها ؟ طال تهيامي
وما وجدتها !

ويحي .. أظن أنني
في سكرةٍ ، قتلتها !!
١٩٤٦

« عرف ضحاياها فلم يتعظ . وهذا السكير
المعدم الذي يمر بها كان من عشاقها المترفين»

⊙

دنا منّا يجرُّ خُطاه
بين السكرِ والوهنِ

وفي برديه ما يُشقي
وفي عينيه ما يُضني

فملتِ عليّ باردةَ الجبين
غضيضة الجفنِ

وصدركِ حلمتا قلقٍ

تنهّـــدتا على أمنٍ !

فسمّـرَ فيَّ لحظيـــه

وقهقهه ساخراً مني

وسار .. كأنما يحمل

نعشَ العمر للدفنِ !

. . .

مناي َ دعي لصحو ِ غدي

بقايا الخمر في دَنيٌّ !!

١٩٤٢

قلق

طال انتظارك فاعدلي
عني ... وأبقي الهمّ لي

ما نحن أوّل من بنى
وبنـــاؤه لم يكمل ِ

حسبي وحسبك أننـا
كنّـا ... ولم نتبدّل ِ

كم سرت مشدود القوى
شوقاً لذاك المنهلِ

وسعيت حتى هدّني
السعى وأدمى أرجلي

لا حاضري يفترّ
بالبشرى ولا مستقبلي

وا شقوةَ الأيام كم
قصّت جناحيْ بلبلِ

أختاه سلّي الحلم من
جفنيكِ ... لا تتأملي

أنا في شجيِّ العمرِ

تحملني يدُ الزمن الخلي !

١٩٣٨

لكِ ما أردتِ ، فلن أسائلْ
كيف انتهتْ أعراسُ بابلْ

حسبي مررت بخاطر النعمى
هنيهـــاتٍ قلائـــلْ !

كم قلتِـها : لكَ ما حييت
وكم ختمتِ بها الرسائلْ !

أنا ما حقدت على الشفاه

ولا عتبتُ على الأناملْ

. . .

لكِ ما أردتِ ، فلن أغيِّـر

ما أردتِ ، ولن أحاولْ

إني رميتُ بمنجلي

وتركتُ للطير السنابلْ

١٩٤٣

حكمة

شـــاردٌ طرفك الكليلْ
متعبٌ ، قلبكِ العليـــلْ

لن أقول اجرحى الخيالْ
لن أقول اخنقي السؤالْ

المنـــى؟ شيّـعي المنى ،
ليس غيري .. هنا .. هنا

ليس في مضجعي عتابْ
ليس من غـــربتي إيابْ

هاك أقداحيَ الجـــددْ
إنها حكمة الجسدْ !!

١٩٤١

البرعم الأخضر

سمعته ينشد شعره فأعجبت به . كان
ينظر إليها كما ينظر الى الطفل الساذج

أفقتِ مع الحـــلمِ المسفرِ
على نغـم شـــاردٍ مسكـرِ

تدفَّـق يسكب في قلبك الطريّ ـ
ربيـع الحيـــاة الطـري

فألفيتِ دنيـاكِ غـــير التي
درجت عليهـــا ولم تشعري

مفاتنُ ريّـا الجمــــال الحييّ
مجنّحةٌ بالهــوى المبكرِ

وأنت عليها انفلاتُ الحبيس
من الطيب في البرعم الأخضر !

رويــــدك لا تزحمي بالرؤى
خيالك يا عفّــــة المئزرِ

أنا حفنةٌ من رمــــاد المنى
على مجمر الزمــــن الأزورِ

هويتك في غصة المؤمنين
إلى جرعة من فم الكوثرِ !

وفوق جفوني عصاب الذهولِ

فـــلم أتبصرْ ولم أبصــرِ

ظلمتكِ ظـلم انهيار الخيال

على يقظة الشـــاعر العبقري

دعيني وحيداً أزجّي الخطى

على مخصب الوهم والمقفرِ !

١٩٣٨

عاصفة

«زارهـا ليقتلها ..»

إشربي ! إشربي بقايا خمورٍ
أسارتْـها يدُ الأسى في إنائي

إشربي وارقصي وغنّـي وهزّي
مزهرَ اللهوِ في يدِ الإغراءِ

إشربي وانضحي اللذائذَ حتى
تتولاكِ رعشةُ الإعياءِ

أتخــافين ؟ أقدمي .. لا تخافي
أقدمي وانفضي بقـــايا الحياء

إنّ هذي العروقَ في جسمك البضّ
أنابيبُ شهـــوةٍ لا دماء !

*

ما لعينيكِ تبكيان ؟ أهـــذا
أوّلُ العهدِ منيتي بالبـــكاء ؟

إحبسي هـــذه الدموع ففيها
تتراءى أشباحُ ماضي شقائي

كم تناسيتُ في تناثرها جرحي
وولّيْتُ دافنـــاً كبريائي

إن هذا اللقاءَ أكرمُ مـــا جاد

بـه الدهرُ بعد طول جفاءِ

. . .

لا تقولي .. لقد ظلمتُ .. فهذي

لطخة الإثمِ في صحيفةِ أمسكْ

تخجل العينُ أن تمرَّ عليهـــا

وترى خلفها خوالجَ حسكْ

أي رجسٍ هفا إليك ولم تُعطيه

مـــا شاء .. يا قتيلةَ رجسكْ

كفكفي الدمعَ ..لن يجيء بنعمائك

دمـــعٌ .. ولن يروح ببؤسكْ

أتخافين مورداً يقذف الوحشةَ

والرعبَ في دجنة رمسكْ ؟

ويسلُّ الأشباحَ من سُرُرِ البغي

فتنقضُّ حوّماً حولَ رأسكْ

فتضرعتِ بعدما حجَّرتْ قلبي

الليالي فما يلين ليأسكْ

أنفضي الكفَّ من صباكِ وصُبِّي

فوقَ ترب الرَّدى ثُمالةَ كأسكْ

آن لي أنْ ألفَّ جرحي وأروي

غلَّةَ النفسِ من عصارة نفسكْ

. . .

انظـــري إليّ مليّاً
يا سرابَ المــدلّـهِ الظمآنِ

هـــل تركتِ الشبابَ فيّ شباباً
يتهـــادى ببرده الفينانِ

إقرأي في غضونه شقوةَ العمر
ففيها مـــا دقّ عن تبياني

لا الأمـــاني تعوده مثلما كنّ
قديماً ولا خيالُ الأمـــاني !

هـــذه زهرة الحياة تلاشتْ
وتبقّـى أشواكهـــا في بناني !

يا لجهلي، فكم لمحتُ بعينيكِ
حياةً علويةَ الألوانِ

واتخذتُ العهودَ منك جناحيً
لأفق عذبِ الرؤى ريَّانِ

فتخيلتُ أنني أصفع الدهر
وأجني من قفره ريحاني

فإذا بي صفر اليدينِ مُكبٌّ
فوق أشلاءِ حلمي الفتانِ !

. . .

ويح نفسي ! أهذه ذكرياتٌ
أم أفاعٍ تفحُّ في جانبيَّا

إتـــكي الآن يا بغيُّ .. وهذي
قبـــلات الوداعِ من شفتيًّـا !

ما على محجريكِ ؟ أيُّ خيالٍ
أتلقّاهُ مالئـــاً محجريًّـا ؟؟

فيه مني ظلُّ الهيولى .. وفيه
من ضلالي ما كان عني خفيًّـا !

ما أجيبُ الجمالَ .. إن مرَّ بي يسال
كيف انتبذتِ أفقاً قصيًّـا ؟؟

أيهزُّ الصباحُ مضجعَـك المخضلَّ
طيباً فمـــا يرى منكِ شيًّـا !؟

ما لكفيَّ ترجفان؟ ومـا للدمع

يهمي بالرغـــم من مقلتيّـا!

إنهضي.. إنهضي.. فلستُ أطيقُ الحسن

تذوي أزهـــارُه في يديّا!

أنتِ أولى بالعيش مني فسيري..

واتركيني أطوي الحياةَ شقيّـا!!

١٩٣٧

طيبة

« الليل والطيب ودارها »

أين السّـرى يا ليل ، يا نزهـــةَ
الأشباح ، يا أرجوحة المرهقِ

أضرمت أشجاني ، ولا نجمة
أسري على إيمـــائها المشفقِ

هذا قيادي ، فامضِ بي مثلما
يمضي النسيم الرخو ، بالزورقِ

• • •

أين السّرى يا ليل ، أي شذاً
هــذا الذي من فيضه أستقي

سمّر أقدامي على وُهنهـا
وسلّني من أفقيَ الضيّـقِ

وهـزّ من أمسيَ أطيافه
فانتفضت عن سحرها المشرقِ

أرنو إليهـا بالعيون التي
حنّت الى الحلم ... ولم تُطبقِ !

هنا الهوى يا ليل ، روّيته
بالأمل الحـلو ولم يورقِ

وخلته يكسو دروب الصّبا

بالياسمين الغضّ والزنبقِ

رضيت منه بالشراع الذي

ضمّت عليه أضلعُ المغرقِ

أي شذا يا ليل ... هذا الذي

أهوى على روحي ولم يرفقِ

أنفحةٌ فيحاء ، أم لمحةٌ ؟

شاردةٌ من حلم شيقِ

مالي وللأوهام أطوي على

تضليلها بردَ الصّبا الريّقِ

ما فَتّحت « طيبةُ » أبوابها

ولم تقل يا وجـــد لا تخفقِ

. . .

يا ليل ... عُدْ بي لا أريد الضحى

أول ما يلقاه ... هـذا الشقي

١٩٣٧

أنكرتني؟ وما زال عبقُ الهوى
وهجُه في ثغري الدامي

أهكذا ينحلُّ مـــا بيننا
وتنتهي نعـــماء أيامي ؟؟

كم سرتُ في إثركِ في غفلةٍ
عنكِ وملء الدرب أحلامي

وكم تلفَّتِ ... ويا طالما

عرفتني من وقع أقدامي

. . .

مررتِ بي اليوم ولا بسمةٌ

منك لطهري أو لآثامي

١٩٣٧

لنا الحبّ والكأسُ والمزهرُ
وللناس... منا الصدى المسكرُ

مشينا معاً، وجناح الرضى
يواكبنا ظلّه الخـــيّـرُ

وخلف ملاعبنـــا أنجمٌ
على شوق أوبتنـا تسهرُ

غداً ، ينقل الكون ألحاننا
ويسمر في ذكرنا السمَّرُ

فميلي نغبْ في شذا ضمةٍ
يرفّ عليها المدى المقفرُ

أخاف انفلات الرؤى الباسمات
إذا خَلَجَ الجفن والمحجرُ

فأحلامنا ... يقظات الحياة
ووحيُ النفوس التي تشعرُ

ونحن من الأزل المطمئن
تبشِّر في يومنا الأعصر

١٩٣٧

حنين

« سمعها تغني أبياتاً له لا ينطبق ما فيها
من مــرح على مــا فيه من ألم » .

لا تغنّي فإن حشرجةَ الميت
وجهشَ النعــاة في مسمعيّا

أتغنّيــن ذكرياتي وكانتْ
كوثراً في فم الزمان شهيّا

يوم أُسقى من راحة الوحي خمري
وأصوغ الحياة شعراً نديّا

وأرى توبةَ الزمـانِ بعينيكِ

فانسى مـــا قد أساء إليَّـا !!

أسمعيني على أنين الأمـــاني

من عثار الشباب لحناً شجيًّـا !!

أوجومٌ ؟ فيم الوجوم بُمنى النفس

وفـيم الذهول يـكسو المحيَّـا

أترامتْ عليك أشباحُ ذكرى

تترك الحبّ ، يا هلوكُ ، حييًّـا؟؟

حوّلي ناظريكِ عني.. فما أستطيـع

أجـــلو سراً هناك خفيًّـا !

ويح نفسي ، ما للعواصف تخبو
ويفتّ الخذلانُ في ساعديَّا ؟؟

أنا طفل الحياة يا ضلَّة الروح
فعفواً إن جئتُ أمراً فريَّا ؟

قبليني ! فقد شعرتُ بروحي
وثبتْ وارتمتْ على شفتيَّا !!!

لستِ أنتِ التي أضمك بل دنيا
فتونٍ وعالَماً علويّا !!!

أتبسمتِ ؟ بعد صمتٍ رهيب
كان يدوي في مسمعيّ دويَّا ؟؟

خدّريني بنغمةٍ تقتل اليأسِ

وتهمي بالمسكرات عليّا

حسناً تفعلين ... غنّـي ، أعيدي

إخفضي الصوت ، تمتميـه إليَّـا

أتركيني على ذراعك أغفو

وأذيبي الأصداءَ شياً فشيًّـا !!

١٩٣٦

شرود

« كتبها وهو مريض »

صوت يناديني .. وفي مسمعي
منه أغـــاني أمل ممتـــعِ

من أين ؟ لا أدري .. ولكنني
أصغي وهذا الليل يُصغي معي !

. . .

أختاه ! إني راحـلٌ فاهدأي
وزوِّديني بالرضى واهجعي

قوافلُ الأجيال قـد لوَّحتْ
تومِيءُ لي من أفـــقٍ أوسعِ

أنا الذي ذوَّب أوتـــارَه
وصبَّـها برءاً على الموجـــعِ

لي من حنـايا سُدرة المنتهى
متكاي إن شئت أو مضجعي !

. . .

لا يا ضلالَ الروحِ لن أكتسي
منكِ جناحيْ حـلمٍ مفجعِ

كم أمنياتٍ عفـــتِ أعراسَها
مآتمـــاً تعولُ في مخدعي

وكم نشيدٍ مسكرٍ في فمي
قاطعتِه .. فانهلّ في أدمعي

حسبي إذا ألقيت طـرفي على
أمسي صدمتُ القلبَ بالأضلعِ

. . .

هيهات .. لن يسمع هذا الدجى
بعدي حنــينَ الوتر الطيِّعِ

ولن ينـــام الحبُّ في مهده
على صلاة الشاعر المبـــدعِ

قُبَّـرةٌ فـوق ضلوع الضحى
غنَّـتْ .. وولَّـتْ ثم لم ترجعِ
١٩٣٦

في البار

عرفتُ شذاك .. فالتفتْ
تسائل عنكِ أشـــواقي !

فلحتِ على خُطىً مـــني
فغابتْ فيكِ أحـــداقي

وعـــاثَ بنشوتي همسُ –
النـــديمِ وبسمةُ الساقي

فقد باحـــا بسرك لي

وأصغيتُ بإطــــراقِ

فكم هـزءا بعشاقٍ

وكم رثيـــا لعشاقِ

وما دريا بمـــا بيني

وبينك من هـوًى باقِ

وكيف يُظنُّ أن أهبط

من علياء آفـــاقي ؟!

. . .

متى أنســـاكِ ؟ لا أدري

وماذا بعــــد إخفاقي ؟

١٩٣٦

مظاهر

هي جارتي ، لم أدرِ ما تُسمى !
هي للجـــمالِ الفتنة العظمى !

يبـــدو على إشراق بسمتها
ترفُ الصبا ، وملاوةُ النُّـعمى !

تتحوّل الأبصار خـــاشعةً
عنها ، وتشبـع طيفَـها لـــثما !

فسألتُ .. قالوا ، بدعةٌ عَجَبٌ
ضقنا بحل رموزها فهْما

عذراءُ نفحُ الطهر خطوتُها
فكأنها من عالم أسمى

جاد الزمان لها بأكرم ما
في راحتيه ، فما شكَتْ همَّا

وسعت لها الدنيا السموحُ فلو
شاءتْ لمسَّتْ كفُّها النجما

. . .

وتوالت الأيام .. لم أرها
فسألتُ .. قالوا .. عبَّت السُّما !

١٩٤٠

كانت

عجبتَ من منزلي ، في رأس شاهقة
بعيدةٍ عن مدى الضوضاء والصخبِ !

أقمتُه ملجـــــأً لي ، بعدما لعبتْ
أيدي الليالي ، بأبراد الصبا القُشُبِ

أراك مضطرباً يا صاحبي .. ومتى
وقفتَ مني ، جريئاً غير مضطربِ؟

كيف اهتديت إليه ؟ ربما عثَرَتْ
رجلاك في دربه بالشوك والعشبِ !

يطيب لي أن أرى صحبي به وأرى
على محـــاجرهم أشباح منقلبي !

ما زارني فيه من حنَّتْ مودتُه
إلا ترنَّحتُ من سكر ومن طربِ

دقَّاتُ خافقه مـــا زلتُ أحسبها
من رعشة الحب لا من رعشة التعبِ !

١٩٤١

أختاه ! هــــذا موقدٌ جائعٌ
يفتح شدقيه فـــــلا تنفري

لا تشرقُ العلياء إلا على
لسانه المندلــــع النيِّرِ

فامضي معي نُطعمْه ما يشتهي
من روض هذا البشر المثمرِ

فنحنُ بنتا حـــلمٍ غابرٍ
تهفو إليه أعينُ الأعصُـرِ

هي عثرنا بعد ما خوَّضتْ
أقدامُنا في نبعـــة الكوثرِ

نيرون روّى لهــوَه قبلنا
على نشيد اللهب المسكرِ

. . .

هناك خلف الموقـــد المسعرِ
إمـــرأةٌ دامية المنظـــرِ
تغزل خيطَ الكفنِ الأحمرِ !!

١٩٣٩

ساذج

منيـــة النفس تناسي سيرةً
تركتْ في مسمع البغي صداها

واسدلي الستر على الماضي الذي
أخذَت من لهوه نفسي مناها

ذكرياتي كلها أغفت فـــلا
توقظيها من دياجير كراها !

هي أهـــواء شبابٍ مترفٍ
بلغ الطهر على رجس ُخطاها !!

كلما جاست رؤاها مضجعي
نفر النـــومُ فألوى برؤاها

أنتِ فتّحتِ عيـــوني للسنا
بعدما فجّرتِ في روحي هداها

أنت جنّحتِ أمـــانيّ التي
حلّقت تهزجُ في أقصى سماها

كنت كالملاّح في لجتـــه
كسرت مجذافه الريحُ ، فتاها

سدل الليـــلُ عليه سجفه
وجلا عن مقلة الذعر عماها

فأصابته يـــدٌ من رحمةٍ
لطمتْ من شامخ الموج الجباها

وانتهى زورقه الواهـي الى
شاطىء ألقت به النعمى عصاها !

. . .

فتعالي نلتمس دنيا من الحب
لم يبلـــغ سُرى الوهم مداها

كملاكين إذا مـــا التقيا
ما تعدّتْ ثورةُ الشوق الشفاها

فنعبّ الكأس ريّا بالمنى
ونبقّي في فم الطهر شذاها !

منيةَ النفس ، أرى صمتك ما
ينثني يطعن في نفسي رجاها ؟

أتركي الشكّ .. ففي قبضته
مديةٌ أقتل طعناً من سواها

أنظري فيّ ملياً ... واقرأي
في عيوني آية شاع نهاها

إن حبي لك لم يترك إلى
شهوة الإثم هشيماً للظـاها

إنني كفنت أشلاء الخنـــا

وغسلت الكف من عار دماها !!

. . .

أطرقتْ ... والشوقُ في مقلتها

كاد أن يفضحَ أحلامَ صباها !!

١٩٣٦

خِداع

مَلكتِ عليّ نعيم الحياة
وصفقتِ في أفقه طائرهْ

وتهتِ عـليّ فـلم تسمعي
صدى زفرة في الدجى ثائرهْ

ولما نفضتُ يدي من هوىً
طَهورٍ كقلبك يا طاهرهْ

علقتُ بكل سدومِ الطباعِ
صريعةِ لذاتهـــا الكاسرهْ

. . .

أرى بين جفنيك جسرَ الدموع
تسير عليه طيوفُ الألمْ

أتخشينني ؟ إن أمسي انطوى
فلا تنشريه خضيبَ الذممْ

فلم يبق فيه ، إذا ما التفتّ
إليه ، سوى غصصٍ من ندمْ

فلا تتركيني على صبوتي
طليقَ الأماني ، كسيح القدمْ

. . .

سكتّ وطرفي على طرفها
غضيضٌ، وفوق يديها يدي

فاسندت الرأسَ في رقةٍ
على قلبيَ الثائرِ المجهـــدِ

ولمـــا هممت بتقبيلهـــا
ورشفِ الرضابالشهيّ الندي

سمعتُ نداء الضمير الجريح
يتمتم : يا وِغدُ لا تعتدِ

. . .

حنيتُ على وقعه هامتي
وسرتُ على غير ما مقصد ..

١٩٣٥

حرمان

« كان واقفاً على صخرة في جبل لبنان يستعرض ذكريات أيام الدراسة ، فتلفَّت ذاهلاً كأنه يريد أن يكلم من ظنها قريبة منه »

ليلى ! أنا وحدي أقلِّبُ في الرُّبى
طرفاً يروح به الجمال ويرجعُ

أسهو على ذكراك حتى أنثني
متطلعاً .. لهفي لمن أتطلَّعُ !

بيني وبينك عالَمٌ لم يُدْنهِ
شوقٌ . ولم يبلغْ حماه تضرُّعُ

أقتاتُ بعدك بالخيال وقلَّما
دفقَ الظلامُ وما احتوانا مضجعُ

ليلى ! يكادُ هواكِ يجرح زهوتي
فتبوح بالألم الدفين الأدمـــعُ !

١٩٣٠

عزاء

أما الصِّبا فلقد مرَّتْ لياليهِ
فابكيه يا عفَّةَ الجلباب فابكيهِ

ملكتِ قلبك عن روض الهوى زمناً
واليوم روض الهوى غيضتْ سواقيه

بالأمسِ إن جئتُ أبدي ما أكابده
لويت جيدَك عمـــا جئتُ أبديه

وما رثيتِ لدمعٍ كنتُ أذرفه
ولا عطفتِ على جرحٍ أعـــانيه

واليوم جئتكِ .. لا صبّاً ولا كَلِـفاً
بل للجمالِ الذي يذوي .. أعزيه !

١٩٣٤

ليلة

« كان يعلم أنها أول وآخر ليلة .. »

حسناءُ ! هذا ليلي الممتعُ
فلتطْـوِهِ في شوقها الأضلعُ

ما كنتُ أستنزف وجدي على
إغرائه .. لو أنه يرجعُ

فلتخفق النعمى على ضمةٍ
لا أرتوي منها ولا أشبـعُ

وليسكر النجمُ على نفحةٍ
ينفثها من طيبك المضجعُ !

. . .

أعطيتني أكرمَ ما صاغَه
وهمٌ وما غنّـى به مطمعُ

فما لقلبي من غواياتـــه
يرنو إلى جرحي ولا يخشعُ

ما اعتاد أن أروي له غلّـة
إلا إذا كان لي المنبـعُ !

. . .

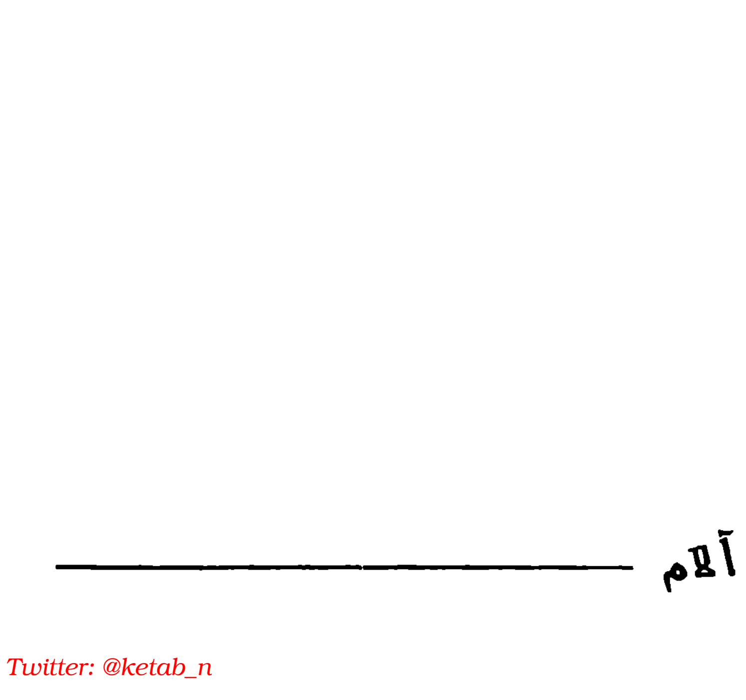
حسناء ! هذي كبرياء الهوى
أهوتْ على أشلائه تدمـعُ

لن أسال الكأس على راحتي
من يا ترى بعدي بها يجرعُ

حسبي من الزنبق أن لا أرى
من أي شلوٍ في الثرى يرضعُ

فاستمهلي الليل .. فلي في غدٍ
ما يبعد الظلَّ الذي أتبعُ

١٩٣٦



آلام

لوعة

« سافر الحبيب علي الشهابي مع الفجر »

خطُّ أختي لم أكن أجهله
إن أختي دائماً تكتب لي

حدثتني أمس عن أهلي وعن
مضض الشوق وبعد المنزلِ

ما عساها اليوم لي قائلة ؟
أي شيءٍ يا تُرى لم تقلِ

وفضضتُ الطرسَ.. لم أعثر على
غير سطرٍ واحد .. مختزلِ

وتهجّيتُ بجهدٍ بعضه ..
إن أختي كتبت في عجلِ

فيه شيءٌ .. عن عليٍ مبهمْ
ربمـــا بعد قليل ينجلي

وتوقفتُ .. ولم أتممْ .. وبي
رعشاتُ الخائف المبتهلِ !

وترآءى لي عـليٌّ كاسياً
من خيوط الفجر أسنى حُللِ

مرحَ اللفتةِ مزهوَّ الخطى
سلسَ اللهجةِ حلوَ الخجلِ

تسأل البسمةُ في مرشفه
عن مواعيد انسكابِ القُبَلِ

وبنـــات الحيِّ في ملعبه
راحةٌ تومي وطرف يجتلي !

طلعةٌ أستقبل الدنيا بها
ناعمَ البالِ بعيدَ المأملِ

. . .

كم أتى يشرح لي أحلامه
وأمـــانيه على المستقبلِ

قـــال لي في كبرياء إنه
يعرف الدرب لعيش أفضلِ

إنه يكره أغلالي التي
أوهنتْ عزمي وأدمتْ أرجلي

سوف يُعطي في غدٍ قريته
خبرةَ العلم وجهدَ العملِ

وسيبني بيته في غـــابةٍ
تترامى فوق سفح الجبلِ

وساعتزُّ به في غـــده
وأراه مثلاً للرَجلِ !

. . .

عدتُ للطرسِ الذي ليس به
غير سطرٍ.. واحدٍ.. مختزلِ

وتجالدتُ .. لعلّي واجد
فيه ما يُبعد عني وجلي

وإذا أقفل معنـــاه على
وهميَ الضارع.. كلَّ السُّبُـلِ

غرقتْ عيناي في أحرفه
وتهاوى مِزقاً عن أنملي !

. . .

قلبُ أختي .. لم أكن أجهله
إن أختي دائماً تحسن لي !

ما لها تنحرني نحراً على

قولها.. مات ابنها.. مات علي!!

١٩٦٢

قلبي معك

« كتبها على قـــبر والده »

نادِاكَ تحناني فمـــا أسمعَكْ

فاذهب، فداك الشوق، قلبي معكْ

سرنا معاً حيناً ، وخلّفتني

وحدي.. على الدرب الذي ضيّعكْ

أرنو إلى الدنيا ، وآفاقها ،

فمـــا أراها جاوزتْ مضجعكْ

حسبيَ منها موعدٌ في المسا

أفهم فيه سرّ مـــا استودعكْ

١٩٤٣

فراق

إلى الشباب في جماله وكرمه وكبريائه
– إلى روح جميـــل محمد مراد –

كيف تطوي بردَ الصبا الريانِ
وليالِيك أكؤسٌ وأغـــاني

ومغـــاني أيامك الزُّهرِ مهدٌ
لوصـال وملعبٌ لأمـاني

ودروبُ الحياة لو شئتَ كان
الصخرُ فيها منابتَ الريحانِ

كيف تطوي برد الصبا وحواليك

ضلوعٌ على هواك حـــوانِ

وعيونٌ لم تختلجْ في شهيّ –

النوم إلا عن طيفك الفتانِ

أنفضْتَ الأذيالَ من عبــق

السير على كل معشب فينانِ ؟

ومسحتَ الشفـــاه من قبلات

الحب والشوق والرضى والحنانِ

وتصاممت عن نشيد فتونٍ

أنت ألفاظه وأنت المعـــاني

أيعود الربيــع ينقل فـــوق

الأرض أقدام زهوةٍ وافتتانِ ؟

ويموج الجمـــال أنّـى هفا

قلبٌ وأنّـى تلفتت مقلتانِ

وتسيل الحياة مشبوبةَ الأنفاس

خلفَ المـــنى بغير عنانِ

أين منك الربيـع يا ناسجاً من

طيب دنياه أفجعَ الأكفانِ

كم هديٍّ عذراءَ رنّحت الخدرَ

بفيضٍ من أمنيـات حسانِ

وأذلّت جوعَ الصبا بتثنيك
خيالاً في جفنها الوسنانِ

واكتفت منك أن تحبك للحب
وأن تنطوي على الحرمانِ ..

أي عذراءَ مزقتْ حجبَ
الغيب وجازت مواكبَ الأزمانِ

وأطلّتْ عليك ، بدعةَ إغراءٍ ،
سخيٌّ الأظلال والألوانِ

فحسرت الشفاهَ عـــن بسمةٍ
أندى وأسنى من بسمة الإيمانِ

وقذفت النداءَ ، في لهفة
العاني وشوق المدلّهِ الحيرانِ

فترامتْ عليك نشوى نعيم
لم يَجسْ قدسَه هوىً إنساني

فإذا الطيب بين فجوة نهديها
يريكَ الحياةَ حلمَ جبانِ

فتلوّيتَ ساكباً قلبك الحرّان
في كاس قلبها الحرّانِ

وتهاديتما وروْقُ الثريا
عَبقٌ من مساحبِ الأردانِ

والزغاريد من كوى الخلد تهمي
في سمـــاع النجوم سيلَ تهاني

أوَراءَ الردى يقام لـــك
العرسُ غريبَ الأوتار والألحانِ

قم تكلمْ فإن صمتَك دمعٌ
في جفوني وعقدةٌ في لساني !

ويح نفسي ، ركبتُ أجنحةَ
الظن ولم ألتفتْ إلى أشجـــاني

لست أدري إلا نواك، فلن ألقاك
مـــن بعده ولـــن تلقاني

غبت عني ، إلا خيالاً حبيباً
للتناجي وليسَ للسلوانِ

. . .

يا مغاني لبنان هـــل هجع
السُّمارُ وانفضّ عِقدُهم يا مغاني

أين نادٍ لنا سهـــرتِ عليه
والليالي مطروفةُ الأجفانِ

غمرته المنى ، فليس لنا مـــا
نتمنى ، في ظله الجذلانِ

كلّ أرجائه من المتع البيض
ثغورٌ ، تصيح : يا من يراني !

كم أَوينا إليــــه نغسل فيه

صــــدأ العمر من غبار الزمانِ

مــــا له انفضّ سامراً ونقالاً

وتعرّى من الحواشي اللدانِ

كيف ألقاه والخيالات شتّــى

بين مغضٍ على السكون ورانِ

يجفل الطرفُ في حمــاه ويرتدّ

على مقلتي رؤى أحزانِ

تلك أشلاؤه يكفّنها الصمتُ

ويلقي بهـــا إلى النسيانِ

فكؤوس الندمان ليس عليها
أثرٌ من مـــراشف الندمانِ

وبقايا الأوتار مخنوقـــة
الأصداء منثورة على العيدانِ

كان نادٍ لنـا ، فيا روعة
الأسرار نامي في حجرة الكتمانِ

لا تطيق الحـــديثَ عن رقة
الجدول أذنُ المشرّد الظمآنِ

. . .

يا حبيبي سالتْ حناجر تحناني
فهـــل أنت سامع تحناني

أفراقٌ بلا وداع وعهدي
بك جمّ الوفاء سمح الجنانِ

أتخوّفت أن أرى عربدات
الداء في جسمك العليل الواني

وانكماشَ الشفاه عن بسماتٍ
عندها السخط والرضى سيانِ

فاعتزمتَ الرحيلَ في نجوةٍ من
نظرات الأحباب والأخدانِ

كان ما شئت يا جميلُ ، فأطيافُك
مجلى شبابك الضحيانِ

ما اشرأبّتْ إليَّ إلاَّ تلمستُ
بكفي ما انهدَّ من بنياني

وتراءت مُنى حياتيَ أسرابَ
مسوخ محمومة الهذيانِ

. . .

يا حبيبي هذي خطاك على
دربي ، وهذا صداك في آذاني

ليَ في كل وقفة وجمةُ
المشدوه بين الرؤى وبين العيانِ

جبهتي من ندى الشروق وقلبي
من نجيع الغروب يستقيانِ

فاطمئني يا نفس ، لن تبلغي في

آخر الشوط غيرَ دار أمانِ

سكرَ الدهر ، فاسكري ، ودعيه

بالرضى يستردّ ما أعطـــاني

١٩٤٤

نجمة

« كان يسير في الليل وحيداً يفكر في أبيه وأحبابه الموتى فسمع كأن صوتاً من بعيد يناديه فالتفت مضطرباً فلم يلمح سوى نجمة واحدة تسطع في الأفق » .

من يناديني ؟ وقد أنكرني
في دروب العمر من يعرفني

أغريبٌ ؟ ملَّ في غربته
عبثَ الوهم ولهوَ الزمن

أم شقيٌّ نسي الكبرُ على
شفتيه بسماتِ المؤمن

من يناديني ؟ وأعراس الصِّبا
لم تدعْ في الكأس ما يسكرني

أبتولٌ ؟ سَلَّها من خدرها
شوقُها المخضوب بالحلم الهني

أم هلوكٌ ألفتْ روضتُها
شفةَ الساقي وكفَّ المجتني !

* * *

من يناديني ؟ وسمّارُ الدُّجى
كُحِّلت أجفانُهم بالوسنِ

أحبيبٌ ؟ أي أحبابي تُرى
من كوى الغيب سرى يؤنسني..

ما لأصداء المنادي خَفَتَتْ

وتلاشى وقعُها في أذني ..

نجمةٌ ضاءت على البعد فيا

ذيلَها الوضّاء كنْ لي كفني !

١٩٤٤

مات الشباب

مات الشباب ! فملء صدر ـ
الأرض أنفاسُ اكتئابِ

سمعتْ بـــه أترابـــه
فأتته أنضـــاءَ انتحابِ

فالزهو مشلول الُخطى
والحسن مجروح الأهـابِ

والطير محـــدود الفضا

والروض مسلوب الملابِ

والشعر مخنــوق الصدى

والسحر مطويّ الكتابِ

وقفتْ تواري ذلك النعش ـ

المكرّمَ في الـــترابِ

وتساءلت حيرى : أمـا

للحبِّ حسٌ بالمصـــابِ

مهلاً .. طعنتِ وفـــاءَه

الحبُّ ماتَ مع الشبابِ !!

١٩٤٠

ألنور أتعبَ مقلتيّ
ونفّـر الأحـلامَ عني

عصفتْ يداه بالظلال
وبالجـلال المطمئنِ

فإذا الحيـــاة تلفّـتُ
عريان مجروح التمني !

. . .

النـــور أدمى مقلتيَّ

وما شفى وهمي وظني

كم مدَّ لي سُبُلاً لا قطفَ

من خمائلهـــا وأجني

فقطعتُـها تعبَ الُخطى

ولكم عثرتُ ولم يُقلْـني

. . .

النـور أعمى مقلتيَّ

فيا ظلام الكون قدني

رفقاً فإني بت أخشى

أن تهدَّ يداك ركني

ما زال بي شوقٌ إلى

الدنيا.. فلا تأخذه مني!

١٩٣٨

مصرع الفنان

« مات صديقه الموسيقار كميل شمبير
وأنامله على الأوتار »

نام عن كاسه وعن أحبابه
قبل أن ينقضي نهار شبابه

نام عن سكرة الحياة وقد جفّ
شرابُ السلوان في أكوابه

بسماتُ الرضى على شفتيه
وشتاتُ الرؤى على أهدابه

وبنات الغروب تسكب في أذنيه
أصداء عـــوده وربابـه

لابساتٍ حمـرَ المآزر مرتْ
ريشةُ الليل فوقهـــا بخضابه

راقصاتٍ في حلقة من عباب
اللهو .. والرقص موجة من عبابه

رقصاتِ المطهماتِ من الخيـل
بعرس يمـــوج في تصخابه

يا بنات الغروب قد نفض الليلُ
على الكون حالكاتِ نقابه

إحملي الراحلَ الغريب وسيرى
بالزغـــاريد سلوةً لاغترابه

وادخلي هيكل الفنون وأبقيه
سراجاً يضيء في محرابـــه

لفتة نحو أمسه أيها الشاعر العلم
إن في سفر عمره صفحاتٍ من الألم

. . .

ملَّ دنياه بعد ما سئم السير
عليها وضـــاق في بلوائه

مورد الفن مظلم لم يصوِّبْ
فوقه الشرق مشعلاً من ضيائه

سار فيه .. وظلمة اليأس تطفي
تحت أنفاسها شمـوع رجائه

والصخور الجسام ناتئة الأنياب
تدمي أقدامـــه وهـو تائـه

ورؤوس الأشواك ترتدُّ عنه
وعليها ممزقٌ من ردائـــه

والأفاعي تفحُّ من كل صوب
نازعاتٍ الى امتصاص دمائه

والأمـــاني أمام عينيه أطيافُ
سرابٍ تموج في بيدائه

فحنى رأسه الكئيب وألقى
بعصاه وضج في بأسائـــه

وانثنى عائــداً يشيِّـع حلماً
يتلاشى من مقلـــتيْ نعمائه

عودةَ الثاكل الحزين وقد نفّـض
كفيه من ثرى أبنائـــه

. . .

ليس يرجو من الورى بسمة تغسل السقم
أحزم الناس عاقل لمس الجرح وابتسم

ضاق في وجهه الفضاءُ وما في
قوسه نبلة لصوت كيانه

فحوته في صدرها الحانة الحمراءُ
خوفاً عليـــه من أحزانه

فتغنى بعطفهــا وحباها
بالشهي الفتان من ألحانـــه

وهوى ينحر الكآبة نحراً
بين نعمى أوتاره وحسانـــه

وانبرى يكرع المدامة حتى
هرئتْ لثّتاه عن أسنانـــه

ويعبُّ الدخان حتى استحالت
رئتــاه مجامراً لدخانه

خالعاً معطف الوقـــار مكباً
فوق أهوائه طليق عنانـــه

لا تلوموه في ضلال خطاه
ربَّ رجسٍ... الطهرُ من أركانه

. . .

جعل اللهو سلوة تحمل السم في الدسم
لا يبالي صريعهـــا عبس الكون أم بسم

. . .

يا لها سكرة لقد أطلقته
من قيود الورى ومن أتراحه

غسلت عن فؤاده ألم العيش
وألوتْ بباقيات كفاحه

وأرتْه طيوفَ آماله الغرّ
عذارى يطفن فوق وشاحه

حاملاتٍ على سواعدها البيض
أكاليلَ فوزه ونجاحه

فغفا هاتفاً بسكرته الهوجاء
والروح ممعن في رواحه

قبل أن يطلع الصباح عليه
ويرى الحلم كاذباً في صباحه

هكذا الوهم للمخبّط في اليأس
ضماداً وبلسماً لجراحه ...

زحف الفجر باتئاد كنسر
قصّت الريح من طويل جناحه

وأتى جثــــةً فصبَّ عليها
دفقـــات من عطفه وسماحه

والندى لم يزل عليها دموعاً
سلن من زفرة الدجي ونواحه

هكذا لاح واختفى في خضم من الظلم
تاركاً فوق أرضه ضجر الروح والسأم

. . .

ليت شعري وقد توارى وشيكا
أطروب أم بائس في بعـــاده

مـــا أظن الآلام في عالم الروح
تزجّـى شراكهـــا لاصطياده

قد كفاه ما ذاق في دنياه
من لئام الورى ومن حساده

أهملت شانـــه البلاد وصمت
أذنيها عن دمدمات فؤاده

فتحت صدرها لكل دخيل
فاغر الشدق واثب في عناده

وسقته كأس الهناء دهاقـــاً
وفتى الفنِ ظامىء في بلاده

لم يكن ذاك عن ذهولٍ ولكن
يرغب المــــرءُ في دما أولاده

إنما لم تزل رفــــاق لياليه
كراماً على عهـــود وداده

تجمع الخمر شملهم فيُخلّون
فراغ اتكائه واستنـــاده

كلما مرَّ ذكره قلبوا الكاس
على الأرض حسرة لافتقاده

. . .

صفحة الحب والهوى والأهازيج والنغم
قد طوتها يد الردى فهي في حجرة العدم

. . .

لست أنسى الناقوس لما نعاه
والمصلَّى يموج في أحباره

ورؤوس الرجال مطرقة والحزن
ساج مسربل بوقاره

والمناديل في أكف الغواني
تشرب الدمع من مقر انفجاره

حملوه في نعشه الأبيض اللون
وساروا كتائبه في قفاره

وحدوه بكل لحن شجيّ
سرقته الآذان من أسراره

إيـه ألحانه وأنت حنـــينٌ
سال من روحه على أوتاره

رافقيه في أفقه فهو ظمآن
بعيد العهود عن قيثاره

رب ورقاء في الفضا الرحب لما
زقزق الفرخ شاكياً من أواره

أطبقت فوق صدرها من جناحيها
وأهوت كالنجم عند انهياره

وأكبّـت عليه تمنحه العطف
ومنقـارها على منقــاره

١٩٣٦


مواكب

عرس المجد

« ألقيت في الحفلة التـــذكارية التي أقيمت في حلب ، ابتهاجاً بجــلاء الفرنسيين عن سوريا »

يا عروس المجد ، تيهي واسحبي
في مغـــانينا ذيولَ الشهبِ

لن تريْ حفنة رمـــل فوقها
لم تعطَّـر بدمـــا حرّ أبي

درجَ البغيُ عليها حقبةً
وهوى دونـَ بلوغ الأربِ

وارتمى كبرُ الليالي دونهـــا
ليّـنَ النابِ ، كليلَ المخلبِ

لا يموتُ الحق، مهما لطمتْ
عـــارضيه، قبضةُ المغتصبِ !

. . .

من هنـا شقَّ الهدى أكمامه
وتهادى موكباً في موكبِ

وأتى الدنيا فرفَّتْ طـــرباً
وانتشتْ من عبقه المنسكبِ

وتغنّتْ بالمروءات الـتي
عرفتها في فتاهـــا العربي

أصيدٌ، ضاقتْ بـه صحراؤه
فاعدَّتـهُ لأفـقٍ أرحبِ

هبَّ للفتح ، فادمى تحتـــه
حافرُ المهر جبينَ الكوكبِ !!

وأمانيه انتفاضُ الأرض من
غيهب الذلّ ، وذلّ الغيهبِ

وانطلاق النور حـــتى يرتوي
كل جفن بالثرى مختضبِ

حلمٌ ولّـى ، ولم يُجرَح بـه
شرفُ المسعى ونبل المطلبِ !

. . .

يا عروسَ المجد ، طال الملتقى
بعدما طـــالَ جوى المغتربِ

سكرتْ أجيالنا في زهوهـــا
وغفتْ عن كيد دهرٍ قُلّـبِ

وصحونا ، فـإذا أعناقنا
مثقـــلات بقيود الأجنبي

فدعوناكِ فـلم نَسمع سوى
زفرةٍ من صدرك المكتئبِ

قـــد عرفنا مهرك الغالي فلم
نُرخص المهـــرَ ولم نحتسبِ

فحملنا لك إكليل الوفـــا
ومشينا فوق هـــام النوبِ

وأرقناها دمـــاء حـرّة
فاغرفي ما شئتِ منها واشربي !

وامسحي دمع اليتامى وابسمي
والمسي جرح الحزانى واطربي

نحـــن من ضعف بنينا قوةً
لم تلن للمـــارج الملتهبِ

كم لنـــا من ميسلون نفضتْ
عن جناحيها غبارَ التعبِ

كم نَبَتْ أسيافنا في ملعبٍ
وَكبَتْ أفراسنا في ملعبِ

من نضـــالٍ عاثرٍ مصطخبٍ
لنضالٍ عـاثرٍ مصطخبِ

شرفُ الوثبةِ أن تُرضي العلى
غُلِبَ الواثبُ أم لم يُغلبِ !!

• • •

فالتفِتْ من كوّة الفردوس يا
فيصل العلياء وانظر واعجبِ

أترى كيف اشتفى الثأرُ من
الفـاتـح المسترق المستلبِ

وطوى مـــا طال من راياته
في ثنـــايا نجمه المحتجبِ

مـــا نسينا دمعة عاصيتها
في وداع الأمـــل المرتقبِ

رجفتْ بالأمس سكـــرى ألمٍ
فاسلها اليوم سكرى طربِ !

يا لنعمى خفّ في أظلالهـــا
ما حملنا في ركاب الحقبِ

أينما جـــالَ بنا الطرف انثنى
وطيوفُ الزهو فوق الهدبِ

هـــذه تربتنا ، لن تزدهيَ
بسوانا من حُمـــاةٍ نُدُبِ

فلنصن من حَرَمِ الملك لهـــا
منبرَ الحقد وسيفَ الغضبِ

ولنُسل حنجرة الشدو بهـا
بين أطلال الضحايا الغيّـبِ

ضلّـت الأمة إن أرختْ على
جرحِ ماضيها كثيفَ الحجبِ !

. . .

مـا بلغنا بعدُ من أحلامنا
ذلك الحــلمَ الكريم الذهبي

أين فى القدس ضلوعٌ غضةٌ
لم تلامسها ذنابى عقـــربِ ؟

وقفَ التاريخُ في محرابهـــا
وقفةَ المرتجف المضطربِ

كم روى عنها أناشيدَ النهى
في سمـــاع العالم المستغربِ

أي أنشودة خزيٍ غصّ في
بثها بـــين الأسى والكربِ

لأبناء السبايا ركبوا
للأماني البيضِ أشهى مركبِ

ومـــتى هزّوا علينا رايةً
ما انطوت بين رخيص السلَـبِ ؟

ومَن الطاغي الذي مدَّ لهم
من سرابِ الحق أوهى سَبَـبِ

أومـا كنا له في خطبـــه
معقلَ الأمنِ وجسرَ الهربِ

ما لنا نلمـــح في مشيته
مخلبَ الذئب وجلدَ الثعلبِ

يا لذلّ العهد إن أغضى أسىً
فوق صدر الشرف المنتحبِ !

يا روابي القدس ، يا مجلى السنا
يا رؤى عيسى على جفن النبي

دون علياتك في الرحب المدى
صهلةُ الخيل ووهجُ القضُـبِ !

لَمّتِ الآلام منـــا شملنا
ونمتْ مـا بيننا من نسبِ

فإذا مصرُ أغــاني جلقٍ
وإذا بغـــداد نجوى يثربِ

ذهبتْ أعلامهـــا خافقةً
والتقى مشرقهـا بالمغربِ

كلما انقضّ عليها عاصفٌ
دفنته في ضــــلوع السحبِ

بورك الخطبُ ، فكم لفّ على
سهمه أشتات شعب مغضبِ

. . .

يا عروس المجد حسبي عزة
أن أرى المجد انثنى يعتز بي

أنا لولاهُ لمــــا طوّفتُ في
كل قفــــرٍ مترامٍ مجدبِ

رُبّ لحنٍ سال عن قيثارتي
هزّ أعطاف الجهاد الأشيبِ

لبـــلادي ولروّادِ السنا
كلّ ما ألهمتني من أدبِ

١٩٤٧

بلادي

« ألقاها في حفلة تأبين السياسي النبيل الزعيم سعد الله الجابري وكان الشاعر على الرغم من احترامه له يتصدى له وينتقده .

هيكلَ الخلد لا َعدَتْـك الغوداي
أنت إرث الأمجاد للامجـــادِ

بوركتْ في هواك كلُّ صلاةٍ
صعّـدتها حنـــاجر العبّــادِ

منك هبّـتْ ُسمر الرجال وأدمتْ
حاجب الشمس بالقنا الميّـادِ

والمروءات ، كلُّ ما حملتها البيدُ
في طول سيرهـــا من زادِ

هتفتْ بالجهاد حتى تشظّـى
كل تاج على صخور الجهـادِ

وإليك انتهى مطـافُ علاها
دافقَ الخير مشرقَ الاسعادِ

فتلمسْ أرجاءك الزُّهـرَ تلمحْ
كل قبر بها ، منــارَ المعادِ !

. . .

هيكل الخلد، جئتُ أسكب نجواك
رؤىً في محـــاجر الآبادِ

في محاريبك الوضيئة تغفو
كبرياءُ الآبـــاء والأجدادِ

قد تساوى لديك حالبُ شاةٍ
في مجال الفـــدا وسيدُ نادِ

أيّ قـبر وقفتُ أرنو إليه
والأسى مالك عليّ قيـــادي

لم يزل تربُــه يرفّ نديّــا
بـين شتّـى كمائم الأورادِ

إن سعداً هنا ! فيـا مقلة
العز أفيقي على صلاة الحدادِ !

وانظري عِليةَ الرجال يشدّون
بأيديهم على الأكبادِ

ما تبقّى من أمسه غير طيف
رائح في رؤى الحياة وغادِ

وغداً تهدأ الشجون ، ويخبو
لاعج الشوق في الضلوع الصوادي

وتمر الأجيالُ سائلةً ؛ من كان
سعدٌ ، وما له من أيادي

من تراه بين الملوك ، وبين
الفاتحين الغزاة والقوّادِ

أيها السائلون ، كم زُيّف الدر
وأمسى قلائـــد الأجيادِ !

كم قبورٍ تنفّس الطيبُ منها
ما حدا باسمها على الدهر حادِ !

ربّ ثاوٍ وراءها ، كان في
قافلهِ الحق ، خير ساعٍ وفادِ

حمل الجرحَ صامتاً مطمئناً
وأتى ربَّه على ميعـــادِ !

ودم المؤمنين ما ضاع عند الله
أجراً ، إن ضاع عند العبادِ !!

هكذا افتضّ آيةَ العمر سعدٌ
وطواها مع الأماني البِدادِ

تلك أيامه الخضيبة بالأرزاء
كانتْ عرائس الأعيـــادِ !

قارع البغي وهو أعزلُ إلا
من سلاحين : نخوةٍ واعتدادِ

ما نسيناه يوم جيء بابراهيم[1]
بين الحراب والاجنـــادِ

وتلقته سدَّةُ العدل ، خجلى
منه ، من جرحه ، من الأَصفادِ

---

(١) هو البطل ابراهيم هنانو .

وهِجان القضاة ، تلمع في أحداقها
الزرق ، مِدية الجـلاَّدِ

سالوه عن صحبه فابى أن
يُقفر الغابُ من حمى الآسادِ

فسرى الصمت، يحبس النفَس المتعبَ
في رهبة القضاء البـادي

وإذا زأرةٌ يموج لهـا الجمع
وتدوي صخابة الارعـادِ

وإذا سعدُ الأبيّ مطـلٌّ
ثابتَ العـزم مطمئنَ الفؤادِ

صاح : إنّي فِرندُ كل حسامٍ
شهرته كفّ العلى للجلادِ

كيف أغفو على فراش الاقاحي
وهنانو على فراش القتادِ ؟

أنا زوّدته بما أبقت الأيامُ
فينا ، من عُدّة وعتادِ !

فاغسلوا ذلّ كيدكم بدمائي
واحملوا هامتي على الاعوادِ

حبذا الموت إن رأيت على
موتي حياةً لأمتي وبلادي !

وقفةٍ ، ردت الذئابَ سخالاً
وثنتهـــــا عن غيها المتمادي

هكذا تصمد النسور ، وتذري
بالسوافي ، على ذرى الأطوادِ !

وتجـــلَّى من بعدها يتهادى
باختيال على الأذى واتئـــادِ

زهوةٌ في تواضعٍ ، وإباء
في خشوع ، ورقة في عنادِ

من ميادينَ نزّعٍ بالأمــــاني
لميادين خضّبٍ بالعوادي

رُبَّ ليل أقام في غيهب السجن

ولم يـدر ما خيال الرقادِ

وجراح أثار ، والشرف المعبود ،

راضٍ ، يلفها بضمادِ

وإذا ما انتهى إلى القمة الشماء

مستطلعاً حـلاءَ الأعادي

شاء أن يطبق الجفون على

أكرم حلم بها وأشهى مرادِ !

وغفا تاركاً على الأرض ذكرى

سلمتْ من تخرّص الحسادِ !!

. . .

سعد ، يا سعد ، إنـــه لنداءٌ
من حنين ، فهل عرفت المنادي

ربما غاب عن خيالك طيفي
بعد طول الجفا وطول البعادِ !

أذهلتْـني عنك انتفاضةُ روحي
في سماء علوية الأمـــدادِ

فترنحت أحسب السحبَ تهوي
تحت مهدي والنجم فوق وسادي

أنا يا سعد ، ما طويت على اللؤم
جناحي ولا جرحتُ اعتقادي

شهد الله ، مـــا انتقدتك إلا
طمعاً ان أراك فوق انتقادِ

وكفى المرء رفعةً أن يُعادى
في ميادين مجده ، ويعادي !!!

. . .

يا حبيبَ الخلود طوبى جفون
نعمت بالكرى ليوم التنادِ

كيف لو فُتّحتْ ولاح لها عُرسُ
الأمـــاني مؤزراً بالسوادِ

ملء سمع الجهاد صيحة ثارٍ
تنفض الجمر ، من خلال الرمادِ

غمزتْ نخوةَ البلاد ، فهبّت
تتلظى حواضراً وبوادي

وتنادت حماتُها لروابي القدسِ
محمولـةً على الأحقـــادِ

أترى الحق ، كيف أغضى حياءً
ولوى جيده كئيب الفؤادِ

شتمته تلك الشفاهُ التي كانت
تغنّـي بحمـــده ، وتنادي

كم جراحٍ على اسمه السمح سالتْ
في رحاب الأغوار والأنجادِ

أطفأتْ غصةَ الضلال، وبلّت
غلة الإثم، وهو حرّان صادِ

وإذا جوّع الطغاةُ تراءَوا
في مسوح النُسّاك والزهّادِ

أين عهد نامت عليه عيون الشرق
جذلى في العاصفات الشدادِ

ما لنا كلما هتفنا به ارتدَّ
صداه كصيحةٍ في وادِ!

لا تُوفّى العهود إلا إذا ما
كتبت بالدماء، لا بالمدادِ!

. . .

أي فلسطين ، ما العروبة لولا
قبس من سنا النبوة هـــادِ

كل حرف منها لهاةٌ من العلياء
سالتْ كريمةَ الانشـــادِ

كيف لا تمشق النجومَ ذياداً
عن حمى السيد المسيح الفادي

إن تاجاً يلفه حلم صهيون
نضيداً على جبـــينِ الفسادِ

أقسمت أن تفضّـه خرزاتٍ
وتوشّـي به سروجَ الجيادِ !!

هكذا عاودت بلادك يا سعدُ

اللياليِ ، بكلِّ واري الزنادِ

كلما أطلقت حمـــامةُ سلمٍ

جاذبتها حبـائلُ الصيادِ

إنها سنَّةُ الوجود ، فشعبٌ

لبقاءٍ ، وآخرٌ لنفـــادِ

فعلى الحادثات أن تتوالى

وعلينـــا الوقوف بالمرصادِ

١٩٤٧

مع المعرّي

« ألقيت في المهرجان الألفي لأبي العلاء »

ملعب الدهر لو ملكنا هدانا
لبلغنا من الحيـــاةِ منانا

سبقتنا إليك أجنحةُ الشوق
وشقّـت لنا سبيلَ خُطانا

وتلقيتَـنـا بسمة إشفاق
وطوقتنا رضىً وحنـانا

ودرجنا مع الشروق نغنّـيك

ونسقي سمع الدُّنى ألحانا

وحنين المجهول أخيلةٌ تُنبت

من كل صخرة ريحـانا

أي زادٍ سوى الظنون حملنا

وتركنا إلى هواها العنانا

كلما أوغلتْ ركائبُـنا ضاق

على زحمة الدروب مدانا

واحتوانا من كل صوب ضبابٌ

يرجع الطرفَ خاشعاً حرّانا

أنريد الوجود منهتك الستر

يرينـــا أسراره عريانا ؟

ويفضُّ الفِـدام عن قلبه السمحِ

ويجريـــه للعطاش دنانا

لو بلغنا ما نشتهي لرأينا الله

في نشوة الشعور عِيانا !

نحن نسجُ الثرى ، فما لأمانينا

على كل كوكب تتفانى

تلك أقدامنا تعثّـرُ بالأعشاب

حيناً وبالحصى أحيـــانا

وظلال الغروب دون مدى

الطرف إلى رهبة اللقا تتدانى

نشطتْ قبلنا مواكبُ شتّى

وترامت خضيبةً خذلانا

وبقايا أشباحها من رؤى

المحموم أوهى تماسكاً واقترانا

تغمز الهاجسَ الرهيفَ ، فما

يبلغ صدقاً منها ولا بهتانا

وخَفِيُّ الوجودِ ما انفك لا

ينبضُ قلباً ولا يرفُّ لسانا

طلبته عـينُ الخيال ولما
لمحتْـه تكسرتْ أجفانا !!

. . .

ملعبَ الدهر إن رجع حنين
من أقاصيك أرهفَ الآذانا

واستفزّ الأجيالَ من حجرة
الغيب، فهبّـت تمزق الأكفانا

وتهادت تقلّ موكبَ فكر
يسحب الشهبَ خلفه أردانا

قام عنه أبو العلاء ، وقام
الموت ، مستنزفَ الاباء جبانا

قد طواه الزمان حتى إذا الخلد
اجتباه أطلّ يطوي الزمانا

ذاك تجواله كان انطلاقَ
الروح فيه لم يستطب ميدانا

بين شكٍ مروّعٍ ، ويقينٍ
مطمئنٍ ، ما يأتلي حيرانا

وهو في حالتيه قيثـــارةٌ
زهراء ، تروي نشيدها الفتانا

وقف الشرقُ بعد لأيٍ لتذكار
صداها مرنّـحاً نشوانا !!!

. . .

يا أخا الحكمة السنية هل نلتَ

على سدة الخلود أمـــانا

كيف ألفيتَ عالماً لم يكحِّلْ

مرودُ النور جفنه الوسنانا

هل محا بسمةَ الكآبة عن

فيك وأردى في صدرك الأحزانا

وهدى خاطراً وزانَ لساناً

وشفى مقلةً وأرضى جنانا

كم تهاوتْ من دونه روحُك

الحرّى وسالت جراحُها ألحانا

عـالم الوهم نحن صغنا رؤاه
وأردناه أن يكون فكانا

لست تسطيع أن تكون إلهاً
فإن اسطعت فلتكنْ إنسانا!!

• • •

لمن الأرض إن سلاها بنوها
وتناسوا سخاءها الهتــانا

وهبتنا من قلبها ، خفقةَ
القلب وشدت بساعديها قوانا

وأباحت لنا جناها وأعطت
فوق ما أفق حلمنا أعطانا!!

فهي مرآتنا ومرآة مسرانا

ومرآة سخطنـــا ورضانا

ما بكينا نفارها ، إنما العجزُ

على صرخة الحنين بكانا !!

. . .

أي قلب حملته بين جنبيك

ووالاك طيِّعـاً أسوانا

طالعته الحيـــاةُ مشبوبةَ

الأنفاس تذكي دماءه أشجانا

مرَّ من وهجها الملحّ فما هدهد

شوقاً ، ولا شفى حرمانا

كنت في حبك المجرد لا تحبس

عن كل معتفٍ إحسانا

أمن الحبِّ أن تدار عليك

الكأس ملأى ، وتنثني ظمآنا

ما العزاء الذي نحرتَ له العمرَ

وقدمتَه له قربانا

أتصباك موردٌ من وراء الغيب

تغشى نعيمَه جذلانا

كنت تدري أن الهناءة طير

لاح في دوحة الحياة وبانا

يا لزهو الصبا ، نظرتُ بعينيه
إلى العِيش مورقاً ريــــانا

ما عرفتُ ارتعاشة الكف
بالكاسِ اذا كانت المنى ندمانا

هيكلي الرحبُ ، كلُّ أهواءِ نفسي
في ذراه أقمتُــها أوثانــــا

سوف أمضي كما مضيتَ وتدري
في حمى الروح أينا أشقانا !!

يا أخا الحكمة السنيّة هل منك
التفـــاتٌ الى صدى نجوانا

سلسلتها على الحناجر ذكراك
وقرّتِ في كل سمع بيـــانا

منـك إشراقها ولولا الجذور
الخضر ما هزت الصـّبا أغصانا

أتخاف الاصغاء ان يجرحَ الهدأةَ
او أنـ يصوغها أشجانا !

قد يحنُّ الطريـــد للربعِ مهما
سامه الربعُ شقوةً وهوانا !

هذه الدار كم سئمتَ بها العيشَ
وكـــم ذقت مرهـــا ألوأنا

سرحتْ في ضلوعها شِيَعُ النسل
فنزّت ضلوعُها أدرانا

وتلقيتها أسىً فتلقتْ
أسداً في قيوده غضبانا

فتعالت صيحاتك الحمر تهدي
لو أصابت أصداؤها آذانا

فتواريتَ عن عيونٍ مراضٍ
خلتَ ألحاظها عليك سنانا

فطويتَ الأيامَ في عزلة
الرهبان لم تحتسب لها حسبانا

قد تجفّ الحياةَ إلا وريداً

ويضيقُ الوجودُ إلا مكانا !!

. . .

كيف تفتر عن رضىً وإياليك

أقامت عليك حرباً عوانا

وعجاف الرجال أرفع قدراً

منك في غيهم وأنبهُ شانا

طالما كنتَ مبصراً فيدياجيك

وكانوا في نورهم عميـــانا

أسرجوا صهوة المذلةوانقضوا

على مثخن الجراح طعـانا

واستباحوا مال الضعيف عتواً
وأهانوا حرماتـــه طغيانا

وأزاحوا عن المنابر أحراراً
فهزّت أعوادهـــا عبدانا

وتمشوا لدى الأعاجم حملاناً
وسابوا في قومهم ذؤبانا

هذهِ الزمرةُ التي في حماها
وقفَ الملكُ مطرقاً خزيانا

ما أظن العصورَ مرتْ عليها
فتلفّتْ ، أما تراها الآنا !!

. . .

يا فؤاداً من المراحم نبضاتٍ

ومن جامد السّنا شريانا

مِرجلُ الحقد لم تلامسه كفُ

الحب إلا أدمى لظاه البنانا

لم يزل شُرَّبُ النجيع سكارى

يتبارون حوله عدوانا

طرفوا مقلةَ السماء وأدموا

كبد الأرض عثيراً ودخانا

ما ألانت قلوبَهم أدمعُ الأيتام

أو هزهم انين الحزانى

فضحاياهم تمور على الرمل

المدمّى، وتعتلي صلبانا!!

كلهم في وليمة البغي يخشى

أن يرى جوف غيره ملآنا

والحجى بينهم شراع على الدأماء

لا يرتجي له شطآنا!

قل لتلك الحمائم البيض طيري

فالخطايا تدفقت طوفانا!!

• • •

أأناجيك يا نجيّ الدراري

وأغنيك أغنياتي الحسانا

إن آفاقك البعيدةَ لا تطلقُ
للخاطر الحبيسِ عنـانا

حسبك المجد أن ترى كل يوم
لأغانيك عنده مهرجانا

١٩٤٤

يا رمـــل

« ألقيت في ذكرى المولد النبوي في الأسبوع الذي أعلن فيه الرئيس روزفلت ، ان الميثاق الأطلسي ، كفيل الحريات الأربع ، لا أثر له في الوجود ، وكانت المراقبة حذفت بعض مقاطع من هـــذه القصيدة لم يذكرها الشاعر فأثبتت كما نشرت :

يا رملُ ، ما تعبَ الحادي ولا سئما
ولا شكا في غوايات السراب ظما !

على وجومِك من نجواه أخيلةٌ
شقّ الفتونُ بها أكمامه ونما

كأنما من وراء الغيب هاجسة
فضَّتْ على سمعه السر الذي كتما

فرنَّح الكونَ في لألاء أمنية
عذراءَ ما عرفت أرضاً لها وسما

مرت طيوفاً على الدنيا فما غمست
فيها جناحاً ولا جرّت بها قدما

حتى إذا طالعتها مكةُ ، اختلجت
شوقاً وسالت على أجوائها نِعما

فلاح أحمدُ في أعراس دعوته
يسلسل الوحي إن صمتاً وإن كَلِما

ويسحب المرودَ الأسنى على مقلٍ
ما زادها النور إلا ضلةً وعمى !

هناءةٌ شقيتْ هوجُ النفوس بها
فعربدت صلفاً واستكبرت شمما !

والحلم إن لم يعرّ المرء من درنٍ
فالسيف أكرم منه إن كساه دما

فأرسل الصرخة الزهراء فانطلقت
كتائب الله ترعى البيت والحرما

فما هوى صارمٌ إلا رمى عنقاً
ولا هوى معولٌ إلا رمى صنما

ولا بدت سدّةٌ إلا تسنّمها
مؤذنٌ لم يدع في مسمع صمما

فتاب من لم يكن بالله معتقداً
وثاب من لم يكن بالله معتصما

فأقبلت سَرواتُ العرب خاشعةً
تجلو بإيمانها عن دينهـــا التهما

وتحمل الشهبَ في راحاتها قضباً
والخيل تعلك في أشداقها اللجما

وأحمــــدٌ يتلقاهـا وبسمتـه
ترد كل فــــمٍ للمجد مبتسما

والفتح يغمزها حتى إذا وثبت
لم تُبق في الشرك لا عرباً ولا عجما

فرف في كل مجلى للهدى علمٌ
يُظلّ في كل مجلى للفدا علما

فازّينت بالبناة الزُهر ، مملكة
ألعدل ما شادها ، والحق ما دعما

كم طوقت شيع الدنيا بكعبتها
وهزت الشمس عن هاماتهم عمما

نعمى أضاءت على الأيام وانطفأت
فيا ليالي ادفقي من بعدها ظُلما

ويا جدوداً غواها الزهو وافتتنت
أعطيته من بقايا الارث ما عظما

ولاّكِ أحمدُ من آياتـــه سنناً
فما رعيت لها عهداً ولا ذمما

المجد في النفس لا يشفى له نهمٌ
لو لم يجع فوق نهديها لما فُطما

• • •

ويا نجيعاً على التذكار منسرباً
هل من ضماد يردّ الجرح ملتئما

تلك الربوع التي نام الفخار بها
لم تلقَ من حولها إلا الذي هدما

نهفو اليها فيبدو البغي محتدماً
والذل محتكماً والعـــز منهزما

وللعلوجِ على أنقاضها ضُرزٌ
لو استطاعت لأهوت فوقهم رُجُما

أرخى الزمان اليهم من أعنَّته
وسلّ من دربهم أحداثه الحُطُما

حتى إذا سكروا في حانه انتفضت
أهواؤهم وذكت أنيابهم ضَرَما

وسافكوا الدمَ عن مرعى فريستهم
من الشعوب وصبوا كيدهم حمما

والنصر بينهمُ في لهوه طَرِبٌ
يُعطي ويحرم من أعطى ومن حرما !

فقام منهم فريق حائر تعبٌ
يستصرخ الشيَمَ العرباء والهمما

ويعرض الغد في ميثاقه صوراً
تندى أناملها من رقة كرما !

أطلّ يلثم جرحَ الأرض فاختضبت
شفاهه بدماها بعد ما لثما !

وقال يا أرض لا تستعبري ألماً
فقد نحرتُ على أذيالك الألما

أنا الذي سلَّت الأحقادُ خنجره
فراح يغمده في صدرها ندما

كم أطرق الحب في جنبيّ مكتئباً
وعربد البغي في كفيّ منتقما

إذا تلفَّتُ لم ألمح سوى أمم
تمشي على كرهها في موكبي خدما

تلك الليالي انطوت يا أرض فابتسمي
واستمطري لأزاهير العلى دِيَما

فسمَّرت مقلتيها فيه ذاهلةً
أتطلب البرءَ ممن أوجد السقما !؟

أترقص الطير في أشراك صائدها
ويحرس الذئب في أعطانها الغنما !؟

حلمٌ تناثر أطيـــافاً منضَّرةً
ما كان أكرمه لو لم يكن حلما !

وما المواثيقُ إن فاه القويُّ بها
ونصّب الختل في أقداسها حكما !؟

ما كان أغناه عن تزوير غايته
من يحمل السيف لا يبري به قلما !

. . .

يا رمل.. رجْعُ حداء في مسامعنا
هل حُمّلَ الركبُ بشراه وما علما !؟

قيثارة الوحي لم تجرح لها وتراً
أيدي الليالي ولم تحبس لها نغما

أمن سنا أحمدٍ حر ستطلعه
وتطلع المجد في برديه مضطرما ؟؟

فيرجع الأرض ريًّا بعد ما يبست
ويمتطي الدهرَ غضاً بعد ما هرما !

١٩٤٥

« مقدمة ملحمة النبي »

أي نجوى مخضلة النعماءِ

رددتها حناجرُ الصحراءِ

سمعتهـــا قريش فانتفضت

غضبى وضجت مشبوبة الأهواءِ

ومشت في حمى الضلال الى

الكعبة مشي الطريدة البلهاءِ

وارتمت خشعة على اللاّت

والعزّى وهزتْ ركنيهما بالدعاءِ

وبدت تنحر القرابينَ نحراً

في هوى كل دميـــة صماءِ

وانثنتْ تضرب الرمال اختيالاً

بخطى جاهليـــة عميـاءِ

. . .

عربدي يا قريش وانغمسي ما

شئت في حمأة المنى النكراءِ

لن تزيلي ما خطه الله للأرض

وما صاغه لهـا من هنـــاءِ

شاء أن ينبت النبوّةَ في القفر

ويلقي بالوحي من سينـــاء

فسلي الربعَ ما لغربة عبدالله

تطوى جراحُها في العزاء

ما لأقيالِ هاشم يخلع البشرُ

عليها مطـــارفَ الخيـــلاء

أنظريهـــا حول اليتيم فراشاً

هَزجـــاً حول دافق اللألاء

وأبو طالب على مذبح الأصنام

يزجي له ضحـــايا الفـــداء

هوذا أحمد فيا منكب الغبراء
زاحـــمْ مناكب الجـــوزاء

. . .

بسم الطفل للحياة وفي جنبيه
سرّ الوديعـــة العصماء

هبَّ من مهده ودبّ غريبَ
الدار في ظل خيمة دكنـــاء

تتبارى حليمةٌ خلفه تعـــدو
وفي ثغرهـا افترار رضاء

عرفت فيه طلعةَ اليمن والخير
إذا أجدبت رُبى البيـــداء

وتجلّى لهـــا الفراقُ فأغضت

في ذهول وأجهشت بالبكـــاء

. . .

عاد للربـع أينَ آمنـــةٌ

والحبُ والشوقُ في مجال اللقاء

ما ارتوت منه مقلة طالما شقّت

عليـــهِ ستائرَ الظلمـــاء

يا اعتداد الأيتام باليتم كفكفْ

بعده كل دمعةٍ خرســـاء

. . .

أحمدٌ ، شب يا قريش فتيهي

في الغوايات واسرحي في الشقاء

وانفضي الكفَّ من فتى ما تردّى
بر داء الأجـــداد والآباء

أنتِ سميته الأمين وضمخت
بذكـراه نـــدوةَ الشعراء

فدعي عمه فما كان يغريه
بما في يديـــك من إغراء

جاءه متعبَ الخطى شاردَ الآمال
ما بين خيبةٍ ورجـــاء

قال هوّنْ عنك الأسى يا ابن عبد
الله واحقنْ لنا كريمَ الدماء

لا تسفّه دنيا قريش تُبوّئك
من الملـــك ذِروة العلياء

فبكى أحمدٌ ، وما كان من يبكي
ولكنها دمـــوعُ الاباء

فلوى جيـــدَه وسار وئيداً
ثابتَ العزم مثقـــل الأعباء

وأتى طودَه الموشّح بالنور
وأغفى في ظـل غار حراء

وبجفنيه من جـــلال أمانيه
طيـوفٌ عُلوية الاسراء

وإذا هاتفٌ يصيح به «إقرأ»
فيدوي الوجودُ بالأصداء

وإذا في خشوعه ذلك الأميّ
يتـــلو رسالةَ الإيحـاء

وإذا الأرض والسماء شفاهٌ
تتغنى بسيـــدِ الأنبيـــاء

. . .

جمعت شملهـــا قريش وسلتْ
للأذى كلَّ صعـــدةٍ سمراء

وأرادتْ أن تنقذ البغي من أحمد
في جنـــح ليـــلة ليـــلاء

ودرى سرَّهـــا الرهيب عليٌّ
فاشتهى لو يكون كبش الفداء

قال : يا خـــاتم النبيين أمستْ
مكة دار طغمــةٍ سفهاء

أنا باقٍ هنـــا ولست أبالي
ما ألاقي من كيدها في البقاء

سيروني على فراشك والسيف
أمامي وكل دنيـــا ورائي

حسبي الله في دروب رضاه
أن يرى فيّ أول الشهداء

فتلقـــاه أحمد باسم الثغر
عليماً بما انطوى في الخفاء

أمر الوحي أن يحث خطاه
في الدجى للمدينـــة الزهراء

وسرى واقتفى سراه أبو بكر
وغابا عن أعين الرقبـــاء

وأقاما في الغار والملأ العلويُّ
يرنو اليهـــما بالرعـــاء

وقفت دونه قريش حيارى
وتنزت جريحـــةَ الكبرياء

وانثنت والرياح تجارٌ والرملُ

نثيرٌ في الأوجه الربــــداء

. . .

هلّـــلي يا ربى المدينة واهمي

بسخي الأظلال والأنـــداء

واقذفيهـــــا الله أكبرُ حتى

ينتشي كلُ كوكب وضاء

وأجمعي الأوفاءَ إنــ رسول الله

آتٍ لصحبه الأوفيـــاء ..

. . .

وأطلّ النبيُ فيضاً من الرحمة

يروي الظـــماء تلو الظماء

والصلاة الطهور عالية الأصداء
جوّابــة بكل فضاء

هزت الجاهليَّ فاهتز إنساناً
نجيَّ الرســالة العــذراء

وقريش في يقظة الحقد وهجٌ
من عنادٍ ولفحة من عداء

كلما مرَّ مؤمنٌ بحماهـــا
قذفتــه بطعنة نجــلاء

خسة تترك المروءةَ غضبى
وتردُّ الحُلومَ صرعى حياء

ضاق ذرعاً بها النبيُّ ، فنادى
فاذا الصافنات رجعُ النداء

وإذا الصِيد فوقها يحملون الشهبَ
أسيافَ نخوة شماء

وتخطّاهم النبيُّ ، فساروا
في ركاب الهدى إلى الهيجاء

لم يرقه سفكُ الدماء ، ولكن
عجز الحلم في انتزاع الداء

دَرَنُ النفسِ ليس يمحى إذا لم
تجرِ فيه مباضعُ الحكماء

وإذا الحلمُ لم تجد فيه بناءً

فأكرم بالسيف من بنّــــاء

• • •

وقف الحقُ وقفةً عند بدرٍ

شحذت في الغيوب سيفَ القضاء

ووراء التلال ركبُ أبي سفيان

يحمي سريـــة الفيحـاء

وقريش في جيشها اللجب تسعى

بين وهج القنا وزهو الحداء

بلغت منحنى القليبِ ولفّتْ

مَن عليـــه ببسمة استهزاء

وأرادت أكفاءها فتلقاها
علـيٌ ذؤابـةُ الأكفاء

جز بالسيف عنق شيبة وارتد
إلى صحبه خضيبَ الرداء

فطغى الهول والتقى الند بالند
وماجا في لجة هوجاء

وعيون النبي شاخصة ترقص
في هدبها طيوفُ الرجاء

ودنت منه عصبة الاثم والموت
على راحها ذبيح عياء

فرماها بجفنة من رمـــال
ورنا ثـائر المنى للعـــلاء

ودعا «شاهت الوجوهُ» فيا أرض
اقشعرّي على اختـلاج الدعاء

. . .

قُضيَ الأمرُ يا قريش فسيري
للحمى وانـدبي على الأشـلاء

واحذري الطيب أن يمس غلاماً
في نديٍّ أو غـــادةً في خباء

وأعدّي للثأر حُمرَ السرايا
واحشديهـــا للوثبـة الرعناء

يوم بدر يوم أغرّ على الأيام

باقٍ إن شئت أو لم تشائي

ركز الله فيـــه أسمى لواءٍ

وجنا الخلد تحت ذاك اللواء

. . .

طُوي الحول وانطوى أُحدٌ فيه

ولم تحمـــلي سوى الضراء

أي ذل على جفونك يعوي

وركابُ النبي مـــلء العراء

حلّ في مكة ووجهك في الترب

خضيبٌ ووجهـــه في السماء

ومشى للصلاة والكعبة السمحة
في غمرة مـــن النعـــماء

وتعالى التكبير يا سدةَ الاصنام
ميدي ويا علوج تنـــائي

واشهدي يا سماء أن رسول الله
أوفى بالعهـــد خير وفـــاء

. . .

وجم المؤمنون في رهبة الظن
ونامـــوا على رؤى سوداء

وتمطّـى على المدينة صبحٌ
كاسف الوهج قاتم الأفيـــاء

أحمد ودَّع الحياة ، فيا فاروق
أقصرْ ما فيك من غـــلواءِ

كلُّ حيٍ رهن الفنـــاء وتبقى
آية الله فوق طوق الفنـــاء

. . .

يا نجيَّ الخلود تلك سراياك
على كل ربوةٍ غنـــاءِ

حملت صبوةَ الشآم وفضّتها
أريجاً على فم الزوراءِ

وشجتها غرناطةٌ فشفتْ منها
فؤادَ الصبيّـة الحسنـــاءِ

فاذا الأرض في عرائسك الأبكارِ

مغنى سنىً ومجلى سناءِ

حـــلم وانقضى فيا للمناجي

زُهرَ أطيافه ويا للرائى

. . .

يا عروسَ الصحراء ما نبتَ المجد

على غير راحــــة الصحراءِ

كلما أغرقتْ لياليَـها في الصمت

قامتْ عن نبـــأة زهراءِ

وروتها على الوجود كتابــــاً

ذا مضاء أو صارماً ذا مضاءِ

فاعيدي مجد العروبةِ واسقي

من سناه محاجرَ الغبراءِ

قد ترفُّ الحيـــاة بعد ذبولٍ

ويلين الزمانـ بعد جفاءِ

١٩٤١

هذه أمتي

« ألقيت في حفلة افتتاح دار الكتب في حلب بعد
العدوان الفرنسي وخروج الشاعر من السجن »

ما صحا بعدُ من خُمار زمانه
فليرفّـهْ بالشدوِ عن أشجانهْ

ما وعى الأمنيات إلا طوفاً
خفقت وانطوت على أجفانهْ

غمزته عرائسُ العيش إغراءً
فلم تستبحْ حمى عنفوانهْ

شاعر لو شكا الحياة لكانتْ
سرواتُ الملوك من ندمانــــهْ

أقسم المجد أن يمر على الأرض
ونجوى الأباء خلف لسانــــهْ

فالعبي يا عواصف الدهر ما شئتِ
فلن تجرحيه في وجدانـــــهْ

ربَّ شادٍ على الظَّـما أسلم الروحَ
وروَّى الأجيال نبـع بيانهْ

. . .

ما دهى الشعر بعد رقص لياليه
النشاوى على صنــــوج قيانهْ

وخشوع السُّمَّار في الندوة المعطار
بين الأبكار من ألحانهْ

تلك أوتاره مفجَّعة الأصداء
منشورة على عيدانهْ

لامستها أنامل ، يرعف العوسج
لو أطبقتْ على أغصانهْ !

فهوى الشعر عن مشارفه الزُّهر
وأغفى على رؤى أحزانهْ

كان وقفاً على النبوغ وكانت
روعة الشيء وضعُه في مكانهْ

عـاد للدوح عندليبك يا شعرُ
ومات النعيبُ في غربانـــهْ

وتغنّى حنـــانـه فتمشّى
في ضمير الشهباء رجعُ حنانهْ

فاشرأبتْ وفي تساؤلها شوقٌ
تضيق الأحناءُ عن كتمانهْ

وأطلّـتْ على الزمان وما أقساه
في عرفـــه وفي نكرانهْ

لمحتْ فوقـــه معين نعيم
يستقي المؤمنون من فيضانهْ

فتجلّـى لها شباب علاهـــا

يا لَوردٍ يرفُّ بعـــد أوانهْ

يا لذاك الصّبا وما زرّت الانجمُ

من عروةٍ على أردانـــهْ !

تلك فتيانها أباحَ لهـــا المجدُ

ركوبَ الخطوب في ميدانهْ

وأبو الطيّـب التفاتةُ إدلالٍ

إلى الصّـيدِ من بني حمدانهْ

يخلع الخـــلدَ زأرةً وهديلاً

من مزامـــير زهوه وافتتانهْ

وعلى السرج سيفُ دولته النّدب
يموج الجهـــاد في طيلسانهْ

وغبار الحروب تجبله الأيدي
وساداً يلفُّ في أكفانـــهْ

هكذا العِلْية الرجال فلا صفَّق
في موطنٍ فـــؤادُ جبانهْ

. . .

ذاك عهد لولا ذهولك يا شهباء
لم تقـــدري على نسيانهْ

عزّت الأمُّ بالبنين اعتزاز
الروض بالباسقات من أفنانهْ

عثرات الأجيال قاصمة دكّتْ

بنـــاء الفخار من أركانهْ

إنمـــا ينفض الغبارُ ويبقى

الجوهر الحر في صفا لمعانـــهْ

ما انتهى إرثنا الرفيع ولا سُلَّـتْ

طيوف النـــبيّ من قرآنهْ

يا لذكرى تلفّت المجد ما بين

يديها إلي ربيـــع زمانـــهْ

يوم هزَّ البدْوي معوله الصلدَ

وأهوى به على أوثانـــهْ

والمروءات وهجُ جبهته السمراء
والأمنيات فيض بنانـــهْ

فتهاوتْ على عباءته الدنيـــا
ورفّتْ على صهيل حصانـــهْ

فـــاذا الشرقُ للعروبة طودٌ
تتشظّى النجومُ فوق رعانهْ

كل صرحٍ للحق في الأرض باق
نحتته العلياء من صوّانـــهْ

. . .

يالذكرى أغفى على خجل منها
كريم النجـــار من عدنانهْ

مزّق الدهر شملَه وطوى ما كان
من عزّه ومن سلطانـــــهْ

ورماه إلى وجوم الليـــــالي
وسؤال الغريب عن أوطانهْ

أين ـ لا أين ـ موئلٌ عربيٌّ
يسرح الحرُّ في ظلال أمانهْ

تعب البغي وهو يضرب فيه
ويروّي ثراه من أضغانـــــهْ

وتعايى خزيانَ عن هدم حب
تتلاشى الأبعـــــاد في ميزانهْ

أي جرحٍ ضج العراقُ عليه
ما تلقَّى الأساةَ من لبنانهْ

. . .

يا بلادي ناجاك من وقف الخلد
وأصغى إلى صدى تحنانهْ

كاد أن يرخص المدامع في الأرزاء
لولا الحياء من إيمانهْ

ما الجبان الذي حنوت عليه
وسكبت العزاء ملء جنانهْ

عرفته الهيجاء ، أنذل من فرّ
وأشقى من جرّ ذيل هوانهْ

قام في فيئك الكريم حييّاً
ودموع المتـــاب في أجفانهْ

يشتم الغفلة التي ذقت منها
ما يذوق القطيع من ذؤبانهْ

ليس يدري الجزار ما الخنجر
المسنون إلا إن حزَّ في شريانهْ

• • •

وسلوا القدس هل غفا الشرق عنها
أو طوى دونها شبا مُرّانهْ ؟

أهتافٌ خلف البحار بصهيون
وحدب على بناء كيانهْ ؟

ومن الهاتف الملحُّ ؟ أحرٌ ؟
أين صدق الأحرار من بهتانه ؟

أين ميثاقه ؟ أتنحسر الرحمةُ
في دفتيه عـــن عدوانه ؟

يا لذلّ العهود في فم من
أجرى على عزها دما فرسانه

أي فلسطين يا ابتسامة عيسى
لجـــراح الأذى على جثمانه

يا تثنّـي الـبراق في ليـلة
الإسراء ، والوحي ممسك بعنانه

لا تنامي خضيبة الحلم خوفاً
من غريب الحمى ومن أعوانهْ

إنّ للبيت ربّه .. فدعيه
ربّ حاوٍ رداهُ في ثعبانهْ

. . .

هذه أمتي .. فيا لشراعٍ
يتلقّى العبابَ في هيجانهْ

علمته الأنواء أن يزدريها
ويجرّ المرساة في شطآنهْ

١٩٤٥

الصليب الأحمر

رجفتْ يد الساقي وطاح المزهرُ
وتململ الشادي ونام السُّمَّرُ

تلك النفوس المطمئنة قد طوتْ
ذاك البساط وما له من ينشرُ

كم في ابتسام الفجر من أسرارها
نعمى ترفُّ على الحياة وتُزهرُ

وَلَّتْ كما ولّى الربيع فسرحة
صفراء باقية وأخرى تُكسرُ

. . .

ما لليالي الُخرسِ ليس يسلُّها
من صمتها إلا النشيج المسعرُ

وتواثب الأشباحِ من فجواتها
رعناء في أكفانها تتعثَّرُ

هل في المضاجع هاجعٌ تسري إلى
جفنيه أطياف النعيم وتسهرُ

في كل متَّكأٍ وكل وسادةٍ
جرحٌ يسيل ودمعة تتحدَّرُ

الأرض ضجَّتْ من عقوقِ بنوَّةٍ
قامتْ بناديها تعبُّ وتسكرُ

كفرتْ بها بعد المتاب وإنها
من عهدٍ قابيلٍ تتوبُ وتكفرُ

. . .

يا ربَّ أمٍ جفَّ زيت سراجها
وعدتْ هواجسها عليها تجارُ

تستعرض الماضي ووارفَ فيئه
فتغصّ بالذكرى فما تتذكَّرُ

وصبيَّةٍ طافتْ بها أحلامها
والشوق بين ضلوعها يتفجَّرُ

أين اللقاء السمح .. يسأل قلبها
الغض الطريُّ ونهدها المتحجِّـرُ

حتى إذا صفع القنوطُ رجاءها
نامتْ على جوع الصِّـبا تتضوَّرُ

وأبٍ يجـــرُّ وراءه أعوامه
والشيب مذبوح الوقار معفَّـرُ

يبكي وتبكي الكبرياء كأنها
خجلى تحسُّ بما يحسُّ وتشعرُ

يا للبنـــين الصِّـيد أيُّ منهمُ
يلقى أحبته وأيٌّ يُقبَرُ !

. . .

إني لألمحهم على ميـــدانهم
والهول منجله يغيب ويظهرُ

حتى إذا ما قام يحصد لم يجد
شرفاً يهـان ولا إباءً يُحْـقرُ

صمدوا له .. والمجد فوق رؤوسهم
نشوان ينقل عنهمُ مـا يؤثرُ

هتفوا به لبيك .. كل جراحةٍ
هي في سبيلك ثورةٌ وتحرُّرُ

تقضي البطولة أن نمد جسومنا
جسراً..فقل لرفاقنا أن يعبروا !

ومشوا على هرج اللهيب بواسماً
وتقهقرَ الناعي ولم يتقهقروا

وكذا يذود عن الحمى عبّاده
ويموت من دون العرين القَسْوَرُ!

. . .

عيسى! طلعتَ على الوجود وليس في
آفاقـــه إلا الشقاء الأكدرُ

تجري الخطيئةُ في ملاعب لهوه
والصنجُ خلف ركابها والمِزهرُ

ومعفّـرين جباههم في رجسها
ضجّـوا على صوت النبوّةِ واجتروا

هزوا بوجهك فاتكات حرابهم
واستكبروا والله منهم أكبرُ

فاسلتَ من عينيك دمعة راحمٍ
متوجعٍ وغفرتَ ما لا يُغفرُ

وحملتَ جرح ضلالهم متبسماً
واليوم يحملهُ الصليب الأحمرُ

دنياك ما زالتْ كما ودّعتَها
كفٌ مضرّجةٌ ورأيٌ أزورُ

. . .

سر يا صليب الحب إنك حاملٌ
أملاً يرفُّ وذمـــةً لا تُخفرُ

دمع الأرامل واليتامى ما همى
إلا ليمسحه الحنانُ الخيّرُ

في كل جرح قد لففتَ ضماده
ثغرٌ يسبّحُ أو لسانٌ يشكرُ

١٩٤١

لا تنامي يا رواياتِ الزمـــانِ
فهو لولاك موجةٌ من دخانِ

تتوالى عصوره وبها منكِ
ظـلال طـرية الألوانـِ

أبداً تبسم الحيـــاةُ عليها
بسمـة المطمئن للحـدثانِ

أسمعيني حفيفَ أجنحة الالهام
من أفقــــك القصيّ الداني

وانثري حولي الأساطير فالروحُ
على شبهِ غصّـةِ الظمآنِ

حسبها أن أردها لك من قلبي
صلاةً ، ومن شفاهي أغاني !!

. . .

راوياتِ الزمان هل شعر الرملُ
بنفض الغبـــار عن أرداني

وهبوب الأجيال في يقظة الذكرى
وتهويمـــة الطيوف الرواني

وانفلاتي من الغيوب بأقدام

غريبٍ نائي الحمى حيرانِ

ما له في وجومه يغمز الشعر

فبهمي مثالثاً ومثاني

نفحاتُ النبيّ ، والفتحِ

والعلياءِ والعزِ والندى والبيانِ

رعشاتٌ في أضلعي ماجت الصحراء

فيها وماج فيها افتتاني !!

صدق الحبُّ إن موطني الأجرد

روضي وجدولي ودناني

ينبت المجدَ قبل أن ينبت الوردَ
ويعطي الثمار قبل الأوانِ

. . .

ما أرى ؟ هذه ذوائبُ مخزوم
وهــذي خيـامهم والمغـاني

ما لهم زُيّـغ الحلومِ يعدّون
كريمَ الهشيم للنــيرانِ

سدلوا الأزرَ مغضبين ، وشدوا
الُخمرَ واستلأموا ليوم رهانِ

يطلبون النبيّ في « أُحدٍ » والثأر
طاغٍ ، لم يثنهم عنه ثانِ

وامتطوها مذاكياً تخطف الأرض

وعضاتُها على الأرسانِ !

. . .

« أحدٌ » لاح ، حين لاح عليه

عالَمٌ ضمنَ هيكلٍ إنساني

زرع الحقّ في كتاب مبين

وَحماه بكل عضبٍ يماني

كيف يطوى الحسامُ والجاهليات

هيامُ الأوثان بالأوثانِ

. . .

وثب الهولُ وثبةً فلّت البيضَ

وشظّتْ عواليَ المرّانِ

وعدا المؤمنون في غفلة النصر
وراءَ الأسلاب كالعقبـانِ

فدوتْ صيحة النبي ، فثابوا
فإذا هم في قبضة العدوانِ

وإذا المشركون عاصفة هوجاء
تدمـي جوانبَ الميدانِ

وفتاهم ، ذاك المطوّح بإلهام
مثير الإعجاب في الفرسانِ

دَفعَ المهرَ مغضباً ، فكبا المهرُ
أمامَ النبيّ بعـــد ِحرانِ

فانتضى سيفه ، وهمّ ؛ فلم يقوَ
ولم تنطلق لـــه قدمانِ

فارتضى بالسجال وارتدّ حرّان
وفي النفسِ هاجسٌ رحماني

. . .

أطرق المؤمنون والأمل العاتبُ
يندى على الجبـــاه الحواني

كلُّ نفس في السر سائلة من أين
ذاك الفتى العجيب الطعانِ

لم يلح قبلُ في كنانة مخزومٍ
سنانٌ كمثل هـذا السنانِ !

لا تزيغوا ، صاح النبيُّ ، فلولا
الزيغ لم تطرقوا على الخذلانِ

الهوى الدنيوي والهدفُ العلويّ
في النفس ليس يلتقيانِ !!

أعلمتم مَـــن الفتى المتثني
بوشاح البطولة الأرجواني !؟

إنه ابن الوليد زغردةُ النصر
وأنشودةُ الجهاد البـــاني

مرَّ في ناظريَّ طيفاً بعيداً
عبقريَّ النضال ثبتَ الجنانِ

وكأني أراه يضرب شرق الأرض

بالغرب ، مُشرقَ الإيمانِ

وأرى كبرياءه دمعة التكفير

مسفوحـــةً على القرآنِ

• • •

صدق العهد ، فالفتوح تَوالى

وصدى خـالد بكل مكانِ

أينما حلَّ فالمـــآذن ترجيعُ

اذانِ المهيمن الديَّـــانِ

وبدا الرومُ في ضلال مناهم

شوكةً في معاقد الأجفانِ

فأتاهم بجفنة من رجال
عندها المجد والردى سِيّانِ

ورماهم بها ، وما هي إلا
جولة ، فالتراب أحمر قانِ

وضلوعُ اليرموك تجري نعوشاً
حاملاتٍ هوامدَ الأبدانِ !

. . .

هلل المؤمنون واهتزت البشرى
تروّي حناجر الركبانِ

فإذا خالدٌ على كل جفن
خطراتٌ من الطيوف الحسانِ

سَمَرُ الغيد في الليالي الكسالى
وهوى الصِيد في الزحام العوانِ

فتنة خِيفَ أن يشيع بها الزهوُ
فتلوي بالقـــائد الفتانِ

فنحاه الفاروق فانضم للجند
فخوراً بعـزة الاذعانِ

وتراءى أبو عبيدة في الفيحاء
يحمي قيـادة الفرسانِ

وفتى النبل خالد يقحم الأسوار
في نخبـــة من الفتيانِ

لم تزعزع من عزمه إمرةُ الفاروق
بل فجَّرته فيضَ تفـانـي

وإذا راضت العقيدةُ قلبـاً
فمن الصعب أن يكون أناني !!

. . .

يا مسجَّـى في قُبة الخلد يا خالدُ
هل من تلفتٍ لبياني ؟

لا رعاني الصبا إذا عصف البغي
وألفى فمي ضريحَ لساني !!

أقسم المجد أن أقطّـع أوتاري
عليـه بأكرم الألحانِ

أنا من أمة أفاقت على العز
وأغفت مغموسةً في الهوانِ

عرشُها الرثُّ من حراب المغيرين
وأعلامها من الأكفانِ

والأماني التي استماتت عليها
واجماتٌ ... تكلمي يا أماني

لا تقلْ ذلَّت الرجولة يا خالد
واستسلمت إلى الأحزانِ

حمحمات الخيول في ركبك الظافر
ما زلنَ نشوةَ الآذانِ

كم طوت هذه المرابعُ أفلاذ

قلوب « بدرية » الخفقـــانِ

قم تلفّت ترَ الجنود ، كما كانوا ،

منـــار الإباء والعنفوانِ

ما تخلوا عن الجهاد ولكن

قادَهم ، كلُّ خائن وجبانِ !

. . .

راوياتِ الزمان ، مالي أناجيك

ومالي أغصّ بالأشجانِ

إغسلي الذكريات عني فمالي

في احتمال العبء الثقيل يدانِ

أو فسيلي مراوداً تنثر الكحل

ضياءً ، في مقلة الوسنانِ

٩٣٨

قيود

« ألقيت في حفلة الذكرى للمجاهد ابراهيم هنانو »

وطنٌ عليه من الزمان وقارُ
النور ملء شعابه والنـــارُ

تغفو أساطيرُ البطولة فوقه
ويهزها من مهدها التذكارُ

فتطلُّ من أفق الجهاد قوافلٌ
مُضَرٌ يشـــد ركابها ونزارُ

تستيقظ الدنيا على تزارها
وتنام تحت لوائها الأقـــدارُ

أيامَ لم يُعجمْ لها عودٌ ولم
تهتك لسدرة مجدها أستارُ

سارت على هام الخطوب وللمنى
شبحٌ على وهج الجحيم مثارُ

والصبحُ من دفق الدخان دجنةٌ
والليلُ من سيل اللهيب نهارُ

والموتُ جرحُ الكبرياء بصدره
يعوي وتضحك حوله الأعمارُ

فاخفضْ جناح الكبر هذي تربةٌ
غمر الخلودَ أريجُها المعطارُ

في كل صقع من جماجم نشئها
حَرَمٌ على شرف الجهاد يزارُ

. . .

ما أقربَ الماضي الذبيح يغيب في
طياته المستبسل الجبارُ

نوح المآذن ما يزال بمسمعي
تدوي به الآصال والأسحارُ

فكأنما بالأمس ضلَّت في الدجى
سفنٌ، ومال على الرمال منارُ

يا منَّـةَ الزمن البخيل ومنتهى
حلم العلى ، إن الحياة إسارُ

مرت لياليك العِـذابُ وأنت في
الأجفان طيفُ العزة الخطَّـارُ

ماذا وراء غياهبٍ لجِّيـــةٍ
قصَّـتْ بهن جناحي الأسرارُ

روحٌ على شفة الخلود وهيكلٌ
خاوٍ على قدم الفنـــا ينهارُ

ذكراك عرسُ المجد لم يكسرْ له
دفٌّ ، ولم يُحطمْ له مزمارُ

تشدو بناتُ النورِ لحن جلاله
وعلى سواعدها اللدان الغـارُ

ونِـقالُـه الزاهي ضحايا حرةٌ
وبساطه الضـــافي دمٌ مدرارُ

يهمي بنفحات البطولة مثلمـا
يهمي بنفحـات الربى آذارُ

فافتح كوى الآباد واسفح نظرةً
تعيى بحل رموزها الأفـكارُ

هذي الديارُ عشقتها ولطالمـــا
هزت حنينَ العاشقين ديـارُ

تلك القوافلُ من شبولة يعربٍ

ما زال منها فيلقٌ جرّارُ

تتواثبُ الويلاتُ نصبَ عيونه

ولها على عنق الوفـــا أظفارُ

يهفو إلى تمزيقهن وليس في

كفيه من حلل الردى بتّـارُ

أقسى جراحِ المجد جرحٌ لم تكن

تقوى على تضميده الأحرارُ

. . .

والقدسُ ، ما للقدسِ يخترق الدما

وشراعه الآثام والأوزارُ

أيُّ العصور هوى عليه وليس في
جنبيه من أنيــــابه آثــارُ

عهدُ الصليبيين لم يــبرح له
في مسمع الدنيا صدى دوّارُ

صفّ الملوكَ فما استباح إباؤهم
شرفَ القتال ولا أُهين جوارُ

ناموا على الحلم الأبي فنفـّرتْ
منه الطيوفَ بنـْـوةٌ فجّـارُ

صلبوا على جشع الحياة وفاءهم
ومشوا على أخشابه وأغاروا

وبكل كفٍّ غضةٍ سكينةٌ
وبكل عــــرق نابضٍ مسمارُ

مدوا الأكف إلى شراذم أمة
ضجت بنتن جسومها الأمصارُ

ورموا بها البلدَ الحرام كما رمت
بالجيفة الشطَّ الحرام بحـــارُ

وبنوا لها وطناً وعبقُ محمدٍ
وابن البتول بأفقه زخَّارُ

أين العهودُ البيضُ ترقبُ فجرها
بتلهفٍ صيَّابــــةٌ أبرارُ

ولـّت وفي حلق العروبة بحّةٌ
وعلى مراشفها العطاش غبارُ

إن الضعيف على عريق فخاره
حَمَلٌ يشـد بعنقه جـزّارُ

. . .

عفواً أبا الأحرار كم من زفرة
مخنوقة أخشى الغداة تثارُ

فإذا وجمتُ فلست أول شاعرٍ
تعبت وراء بنـــانه الأوتارُ

أنا عند عهدك لا تلين شكيمتي
كلا ولا يعزى إليّ عثـــارُ

لا عشتُ في زهو الشباب منعماً
إن نال من زهو الشباب العارُ

١٩٣٧

شهيد

« ألقيت في الحفلة التذكارية في حماه
ودمشق للشهيد البطل سعيد العاص الذي
استشهد في جبل النـــار في فلسطين »

نام في غيب الزمان الماحي
جبل المجـد والندى والسماحِ

أسكرته اجيالُ نعمته البكرِ
بفيض الأعراسِ والأفراحِ

حين أنفاسه تموج على الكون
بعبق النبـــوّةَ الفوّاحِ

وترفُّ الحياةُ فيه على آثار

عيسى من غـــدوةٍ ورواحِ

بسمةٌ للنعيم مرّتْ وأبقتْ

ما يبقّـي السكير في الأقداحِ

فتمشّتْ عليه دُهمُ الليالي

وكسته من نسجها بوشاحِ

وطوت سفره العجيب الموشّى

بأساطير عهده الوضّاحِ

فإذا الأعصر الخوالي مطافٌ

لخيـــالات شاعرٍ صدّاحِ

وإذا الطرف ليس يعثر إلا
بقيود مغموسة بجراحِ !!

ورقابٍ محنيـــةٍ تتشظّى
مزقاً فـوق منجل السفّاحِ

ليس بدعاً إذا تعالى وضيعٌ
واستباح الحمى الحرام إباحي

قد تحوك الأقـدارُ من لبدة
الليث وشاحاً للغانيات الملاحِ !

. . .

يا ظلام الأجيال قُصّ جناحيك
فهذي طلائع الاصبـــاحِ

مرودٌ كحّلَ الجفون الكسالى
فأفاقت على السنا اللمّاحِ

فصحا من عيائه الجبل الهاجع
واهتزّ مفعمَ الاتراحِ

وتعالى صياحه يتوالى
فاشرأبت نسوره للصياحِ

تركتْ في الوكون أفراخها الزغبَ
وهبّت على أزيز الرياحِ

وتبارت عصائباً فالفضا الرحبُ
بساطٌ من مخلبٍ وجناحِ !!

. . .

غضب البغيُ فانبرى يحشد الهولَ
ويرنو إلى الأذى بارتيـــاحِ

شقّ فكّـي جهنم فاسالت
في الروابي لعابها والبطاحِ !

فاقشعرت من وهجه القللُ الصمُّ
وأجّـتْ شوامخُ الأدواحِ

وتدجّـى الدخان يحجب عينَ الشمس
عن مـاتم الثرى المستباحِ !

فتهاوت تلك النسور وأزرت
بالمنايا ، على اللظى المجتاحِ

تذشب المخلبَ المعقَّفَ في البغي
وتزجي المنقار في إلحاحِ

ولسانُ اللهيب يلعب بالريش
ويطوي الجراح فوق الجراحِ

غضبةٌ للنسور، لا النصر فيها
بمتاحٍ، ولا الونى بمباحِ !

لم تزحزح تلك المخالبُ إلا
بعدما جُرّدت من الأرواحِ !

فتلاشى الدخان عن وثبات البغي
في بركة الدم النضّاحِ

وسرى الليل مالئاً جبل النار

سكوناً ... لولا نشيد الأضاحي !

. . .

يا دماء النسور تجري سخاءً

بغرام البطـــولة الفضاحِ !

أنبتي العزَّ سرحةً يتفيّا

باظاليلها شتيتُ النواحي

أنتِ دمع السماء إن لهثَ الحقلُ

وجفّت سنابلٌ وأقاحي

أي بردٍ خلعته أحمرَ اللون

على كاهل الجهـــاد الصُراحِ

فيه إيماءةٌ إلى نهبة العلياء
من قبضة الزمان الوقاحِ

ليس يبلى على الزمان « وللعاص »
خيوطٌ في نسجه اللواحِ

تحفظ البيد ذكريات لياليه
وتهفو لعهده النزّاحِ !

وتحن الغياض في الشام شوقاً
لتثنيه مثقلاً بالسلاحِ

يا شهيد الجهاد يا صرخة الهول
إذا الخيل حمحمت في الساحِ !

أيُّ مهرٍ لم تـــدمِ خاصرتيه
من حفيف المهماز يوم اكتساحِ

أي عَودٍ ما زغرَدت لك فيه
كلُّ ميَّـاسة القوام رَدَاحِ !

كلما لاح للكفاح صريخٌ
صحتَ لبيك يا صريخ الكفاحِ

تحمل الحملة القوية والإيمان
أقوى في قلبـــك المفراحِ

فكأن الحيـاةَ لم تلـق فيهـا
ما يروّي تعطش الملتـاحِ

هبة في يديك كانت ولما

رامها المجدُ عفتها بسماحِ !

. . .

وكأني أراك في زحمة الهول

على سرج ضـــامرٍ طوّاحِ

وأخوك الجسور في القمم السود

مطـلٌ على الروابي الفساحِ

لوّحت كفُّه بمنديله الأحمر

شوقاً إلى اللقـــاء المتاحِ

فحسبتَ الأجيال تهتف يا «خالد»

جاهدْ في فيلق « الجرّاحِ »

فترنحت واندفعت وهيهات

يلين الجواد بعد جماحِ !!

واقتحمتَ اللظى فكنت مع الصيد

فراشاً على فم المصباحِ !!

. . .

إيْ فتى الجد، إنه العمر، يوم

لخسار، وآخـــر لربحِ !

إن من سامك المنون لقومٌ

لم يُحيّوا على الحجى والفلاحِ

كيف زاغت حلومهم فتمشى

البغي ما بينهم طليق السراحِ

ما عهدنا الإنجيل إلا مناراً
لسلام وقـــائداً لصلاحِ

غمرت آيه الدماء وسُلّتْ
باسمه السمحِ مُديةُ السفّاحِ !

أرخصوا خشبةَ الصليب وباعوها
وقوداً إلى اللئـــام الشحاحِ

وأهانوا مهد المسيح وردّوه
على طهره فراشَ سفاحِ !!

خفروا ذمة العهود وصمّوا
الأذن عن صرخة المضيم اللاحي

كم وعودٍ معسولةٍ سكبوهـــا
في فؤاد العروبـة المسماحِ

فحشدنا لهـــم جيوش ولاء
ومـددنا أكفَّـنا للصفاحِ

وسفكنا الدم الزكيَّ وزيّـنا
جبين الرحى بغـار النجـاحِ

وأردنا الأسلابَ منهم فكنا
نحن أسلابهم ونحن الأضاحي

. . .

جبلَ النار لن تنام كما نمتَ
جريحَ العلى كسيحَ الطماحِ

لكَ حبٌ في قاسيون وصنين
وسيناء مـــا له من براحِ

أنت للعرب كالمنارة في الساحل
لاحتْ لأعـــين الملاَّحِ!

١٩٣٧

شاعر وشاعر

ألقيت في الجامعة السورية بدمشق في المهرجان الألفي لأبي الطيب المتنبي .

شاخصُ الطرففي رحابِ الفضاء

فوق طودٍ عالي المناكب ناءِ

يرقب الفجرَ والندى مالىء برديه

والشعر مـــائجٌ في الهواءِ

شاعر خافـــقُ الجوانح بالحب

بعيدٌ عن عـــالم الضوضاءِ

تتراءى في وجهــــه الهادىء
الواجم آي الوداعــــة الغراءِ

وبعينيـــــه بارقٌ قذفتــه
شعلة الروحِ مُبهمَ اللألآءِ !

. . .

نهض الفجر مثقـلاً يتلوّى
فوق صدر الطبيعة الخرساءِ

يتخطّـى الربى وئيداً ويهمي
بشتيت الأظلال والأنداءِ

وثبة إثر وثبةٍ ذائبُ الألوان
فيها وجـــامد الأضواءِ

وتهادى بباسم النعماءِ

وإذا الطيرُ بين كرٍ وفر
من غديرٍ لروضة غناءِ

صُورٌ أفرغت على أذن الشاعر
نجوى علوية الايحاءِ !!

. . .

هبط السهلَ والهجيرة تنقضّ
وتطوي مطارفَ الأفياءِ !

وتصبّ الخمول والسأم الصاخب
والصمت في فم الغبراءِ

فصدور الحقول متعبةٌ تلهث

في غمرةٍ من الاعيـــاءِ !

ورؤوسُ الأزهارِ مطرقة تنسلّ

منها انتفاضة الكبرياءِ !

وقيانُ الغصون مَلويَّـةُ الأعناق

صرعى كآبة عمياءِ ...

صور أفرغت على أذن الشاعر

نجوى علوية الإيحاءِ !!.

. . .

بلغ المنحنى.. فجازَ مدى الطرفِ

بحسٍ مفجّـع الأنبـاءِ !

ماتمُ الشمس ضجّ في كبد الأفق

وأهوى بطعنـــةٍ نجلاءِ

عصّبت أرؤسَ الروابي الحزانى

بعصابٍ من جامدات الدماءِ !

فاطلّتْ من خدرها غادة الليل

وتاهت في ميسةِ الخيلاءِ

وأكبّتْ تحلُّ ذاك العصاب

الأرجوانيّ باليدِ السمراءِ !!

وذؤاباتُ شعرهـا تترامي

في فسيح الآفـــاق والأجواءِ

وعيونُ السماء ترنو اليها

من شقوق الملاءة السوداء !!

فإذا الكون لجة من جلالٍ

فجرتهـا أناملُ الظلماءِ !

يرسبُ الطرف في مداها ويطفو

ثم يرتدّ فـاقدَ الارتواءِ

فتطل الأشباحُ من كوّة الوهم

وتعوي مجنونةً في العراءِ

وتموج الأصداء من زفرة الأرض

بأذن المهابـة الصماءِ

صور أفرغت على أذن الشاعر
نجوى علويةَ الإيحاءِ !..

• • •

هكذا استعرضَ الوجود ملياً
في غضون الاصباح والامساءِ

في اختلاج البروق ، في قهقهات
الرعد ، في صاخب من الدأماءِ

في ابتسام الرياض في هدأة الجدول
في نفحـــة الربى الفيحاءِ

فانثنى ضارباً على الوتر الشادي
أهازيجَ روحه الشماءِ !

فضّ فيها عن الحياة نقاباً
من خداعٍ وبرقعاً من رياءِ !

ورمى ختمَ سرها فتجلّتْ
بعد لأيٍ عريانـــة للرائي !

فتهادت بناتها باصطفاق الصنج
والدفّ واتساق الغنـاءِ

كدُمى هيكلٍ وقد نفض الله
عليها اختلاجةَ الأحياءِ !

يتمايلن راقصـاتٍ نشاوى
بدلالٍ مفجّـر الاغراءِ !

فمن الخصر عطفةٌ تركت في
حُلمةِ النهدِ نفرةً للعلاءِ !

كل بنت جياشة الصدر ترمي
أختهـا بابتسامة استهزاءِ

زُمَـرٌ من كواعبٍ برزت في
صورِ العيش في أتم جلاءِ !..

... عزف الشاعر النبيـغ فجست
أكبدَ الراقصاتِ كفّ العزاءِ

مسنداً رأسه على كتف القيثار
مستسلمـــاً إلى الأهواءِ

وإذا ما صحا على نفخة البوق

بأذنيه وازورار القضاءِ ...

خَدَرت كفه على الوتر الشادي

وسالت أصداؤه في الفضاء

وتلاشت تلك الحسان تلاشي

الشمع في زفرة اللظى الحمراءِ

وهوى فوق مضجع من تراب

تحت عطفي صفافة غيناءِ !!

. . .

كم على تربة الزمان من الأوتار

ظلت في نضرة وبهـــاءِ

دفقاتُ التذكار تغسل عنها
من غبار النسيان كل غشاءِ

أبداً تُرقصُ الحياةَ ، وسمع
الدهرِ في نشوةٍ من الأصغاءِ

أمِنتْ ريشةُ الفناءِ فما زال
صداها ذاك القريب النائي

فكأن العزّافَ لم ينفضوا الأيدي
ولم يهجعـــوا بحضن العفاءِ

بين تلك الأوتار في عالميها
وترٌ صيغ من سنا الصحراءِ !

غمرَ العرب سحره الفاتن البكر

وناداهم بخـــير نـداء !

فيه من غضبة الأباء على الضيمِ

وفيـــه من بسمةِ العلياءِ

يحبس الدمعةَ التي سكبتها

في سخاء محاجرُ البؤساءِ

صقلته أنامـــل « المتنبي »

فإذا الشعر مُسْتَفَزّ الأداءِ

بدويّ لينُ الحضارة في برديه

ناجى خشونـــةَ البيداءِ

حضنته العلياء طفلاً وكهلاً
وغذته بأكرم الأثداءِ

فتهادى يختال في ظلمة الأرض
وعيناه في ذُرى الجـــوزاءِ

عزةٌ تدفع الجبانَ إلى الثار
فيمضي للغارة الشعواءِ !

وطموحٌ مجنَّحٌ يترك النسرَ
كسيحاً في زحمة الأنواءِ !

عرفت روحه السرابَ ولكن
خادعت روحه بروقُ الرجاءِ

يطأ الشوك فوق دربِ أمانيهِ

ضحوكاً من غائل الأرزاءِ

إنما ضللت خُطاه الليـــالي

والليالي عداوةُ العظماءِ !

كلما شارفَ الرضى غمسته

في خضم الخذلان والباساءِ

رب جذلان في الكرى زاره

الحلمُ وأغراه بالمنى البيضاءِ

لم تكد ترجف المحاجر حتى

سرق النور دميـــة الاغراءِ !

فسعى في عناده يصفع الضيم
ويطوي الضراء بالضراءِ

كعقابٍ هزت إلى الأفق الرحب
جناحي عزيمة ومضاءِ !

حلّقت.. والرعود تجار والسحبَ
تهـــاوى ، منثورة الأشلاءِ

وتسامت، طوراً تضم جناحيها
وطوراً ترخيهما بازدراءِ

وأتت وكرها مكسرةَ الريشِ
وفي صدرها دمُ البرحـــاءِ

وثوت تحدج الجراح الدوامي
وبالحاظها التفاتُ الاباءِ !

هكذا مصرع الرجال ، فلا نامت
على العز أعينُ الجبناءِ !!

. . .

شاعر الخلد قف على قبة الخلد
وشاهد أئمــة الشعراءِ !

هتفوا باسمك المضمّخِ بالمجد
وكدّوا حناجراً من ثناءِ !

قربوا عهدك البعيد فمرت
صورٌ منه فاتنات الرّواءِ

ذاك سيف الدولات من آل
حمدان منار في السلم والهيجاءِ

مشرق الوجه دافق النعم الحمرِ
صليبُ الشكيمة العرباءِ

ذاك كافورُ ضحكة الهزء في
التاريخ ينهى ومصرُ في إغضاءِ

صور من بيانك البكرِ تبقى
نهبةَ الطرفِ غضّة الايماءِ

. . .

شاعر العرب ، غُضّ طرفك
فالعرب حيارى في قبضة عسراءِ !

يخجل المجد أن يرى الليث شلواً
تحت أنياب حيةٍ رقطاءِ !

أينُ ملكٌ في ظله ترقص النعمى
وتشدو شبّابة العلياءِ

أين لمعُ المنى وحمحمة الخيل
ووهجُ القنا وخفقُ اللواءِ

الميامين ، يا غرامَ الميامين ،
يخوضون لجةً من شقاءِ

القيود الثقال عضّت عليهم
وجرى سمها على الأحناءِ

ولثامِ الطغاة تجترّ كالذؤبان

قلبَ المروءة الغــــراءِ

كم أهانوا دمعَ المسيح على الأثم

وهزوا مضاجعَ الأنبياءِ

إن هذي الربوع بعد بهاهـــــا

صيروها مقابرَ الشهداءِ !!

فاعذرن إن سرت خلال نشيدي

بحـــــةٌ من تفجعٍ وعناءِ

كيف أهدي إليك بيض الأغاني

وجراح الأيامِ خلفَ ردائي

١٩٣٥

عذاب

« يرفع الستار عـــن صالة للتصوير في غرفة
فقيرة الأثاث . المصور أمام لوحة يرسم عليها
صورةزوجته سعاد وهنا وهناك مقاعدمبعثرة».

– جميل المصور –

جمالَ الحياة على مقلتيكَ
سكبتُ فؤادى ، فلا تهجعِ

عصرتَ على شفتيّ المنى
فسالت نعيماً على أضلعي

عرفتُ بك الله بعد الضلال

فدلّ البديعُ على المبدعِ

.

أغنيك حبي ، وهذا الوجود

ضحوك الثنايا يغني معي

« ينادي »

سعاد، مُنى القلب ، خلي الرؤى

تذوب على دافىء المضجعِ

لقد أومــــأ الصبح للساجعات

فهبّت تفتش عن مرتعِ

« تدخل سعاد »

– سعاد بدلال –

جميـــــل !

– جميل –

سعـــاد

– سعاد –

أصورتني ؟

– جميل –

أريد يديْ ساحرٍ مبدعِ

ظلال الهيولى وألوانهـــا

وراء بناني ، ولم أقنـعِ

ومن دون روحك هذا القناع

وما نسج الظنُّ من برقعِ

كأن حدود الفنون انتهت

وما بلغتني مدى مطمعي

« يرمي بريشته وينهض »

– سعاد –

حبيبي ...

– جميل –

فديت الشفـــاهَ التي

تصب الخلود على مسمعي !

« يقبلها »

– سعاد –

تقبلني ؟ إنّ خدّ الوساد

تململ في ليلنـــا الممتعِ

– جميل –

أيروى جريحٌ، صريع الظما

أكبّ عياءً على منبعِ !

هبي قلبيَ البكرَ طفل الحياة

تشبّث بالثدي من مرضعِ

تعالي ، أطلّي على عــالمٍ

يعربد في سكره الموجعِ

« يتجهان نحو النافذة »

– سعاد –

أحنّ إلى مثل تلك القصور

كستها الخمائل أبهى حللْ

فكم مرّغ الفجر أجفانه

عليها ، ولم تتفتحْ مُقلْ

– جميل –

جمالك أحرى بقصر منيفٍ

إليه جناح الرؤى ما وصل

وفيمَ التمنى ، وثغر النعيم

على مبسمينا نديّ القُبَلْ

– سعاد –

أتسمع ؟ من يا ترى قادمٌ

« يدخل نزار »

– جميل –

نزار ؟

– نزار –

أجلْ يا رفيقَ الصغرْ

سعاد !

– جميل –

لقد تاب عن بغيه

زماني وردّ المنى ، واعتذرْ

– نزار بألم –

لتجـرِ لياليكما كلها !

مضمخة بالأمـــاني الغررْ

فما العمر إلا التفات الرضى

إلى ما رمى خلفه من أثرْ

– جميل مداعباً –

وأنت نزار ! ألا لهفـــة

لديك إلى الموعد المنتظرْ

وفيمَ تلكأت عن زورتي ؟

أعن سلوة منك أم عن كبرْ

أهذا وفاؤك

– سعاد –

عفواً نزار ،

« تذهب »

– جميل يتم –

أما زلتَ خدن الهوى والسّمرْ

تناسيتَ عهـــداً سخيّ اليدين

نديٍّ الظلال ، شهيّ الصورْ

تجـــدد في كل يوم هواك

وتقطف من حيث شئت الثمرْ

كطير لعوبٍ ، سريع الجناح

فمـــا قرّ في الدوح حتى نَفَرْ

– نزار –

رويدك ، لا تنكأنّ الجراح

على ذكريات رؤىً هجّـدِ

لقد نفض اللهو مني يديه

فلن نتلاقى على موردِ !

– جميل –

لك الخير كيف حمدت السّـرى

وليلك ما نمّ عن فرقدِ

فأي هوًى باركته السماء

سريتَ على وحيه تهتدي ؟

؟ أم أنا واهمُ

حسبتك تخلع ما ترتدي !

« تدخل سعاد بطبق من السكر »

– سعاد –

أأبطأت ؟

– نزار –

أخجلتنا يا سعاد

وأعطيتنا فوق ما نجتدي !

« يتناول هو وجميل قطعة »

– جميل –

نزار ، هنـــا سلوتي كلما

عـثرتُ بأحلاميَ الشرّدِ

« يشير إلى سعاد فتقع عينه على طرف ردائها الممزق »

ولو استطيع خلعتُ الضياءَ

وشاحاً على قدّها الأملدِ

– سعاد خجلى –

تحمّلني العطفَ حتى أنوءَ

بــه يا جميل ، فلا تزددِ

« تخرج راكضة »

– جميل لنفسه –

ألا يا متاعَ الحياة الرخيص

أتبسم لليوم أم للغـدِ

أخا الودّ ، إني على موعد

فصلنا نصلك بلا موعدِ !

« يحمل جميل أحد ألواحه ويخرج مع
نزار ، تدخل سعاد مضطربة »

— سعاد —

كأني أراه وفي مقلتيه
بريقٌ من الغيرة العاتيهْ

أعــــادَ لينشر من أمسه
صحائفَ أهوائـه الماضيهْ

أهاجته ذكراي ؟ أم رفرفت
عليه طيوف الهوى الداميهْ

تفيض يداه بذوب اللجين
إذا ظمئت نفسه الطاغيهْ !

« يدخل نزار »

أراك رجعتَ !

دعـاني الهـوى
وأيقظ آلاميَ الغافيهْ

– سعاد –

وزوجي !

– نزار –

دعينـــا ...

– سعاد مقاطعة –

احـترمْ شعلةً
أضاءت على روحي الداجيهْ
أهنتَ الصداقة ...

– نزار –

لا تجرحي

ضمير المروءة يا قاسيهْ !

– سعاد –

أتذكر ماضيك ؟..

– نزار –

كفّنته

وواريتُهُ حفرة نائيهْ !..

– سعاد –

وهمس الوعود على مسمعي

– نزار –

أكفّرُ عنه بعبراتيهْ

لقد هزني منك هذا الجمال

مهيناً باسماله البـــاليه

ألا تبصرين الصبايا الملاح

ورقة أبرادهـا الزاهيه ؟

ألا تحزنـــين على زنبق

يحيط به الشوك في الآنيه ؟!

– سعاد بارتباك –

نزار ...

– نزار –

لعينيك ما في يدي

فلا تحبسي القبلة الشافيه

« يريها خاتماً »

— سعاد مترددة —

ولكنّ زوجي . . .

له الجدولُ

السموح ولي جرعةٌ صافيهْ

— نزار مقاطعاً —

ولا أرتجي غيرهـــا قبلةً

ولو غضبت نفسيَ الظاميهْ

— سعاد لنفسها —

أأمنحه قبلةً من فمـــي

وأدفن تذكارها في العَـدَمْ

— سعاد لنزار —

نزار أخاف جنون الشباب

وأخشى أنوء بعبء الألمْ

– نزار –

لعمركِ ، ما رمت ما يجرح
المروءة أو يستفزّ الندمْ

أريد أقبّل هذا الذي
يطهّر روحي ويجلو السقمْ

ويسكبُ في جانبيّ الهدى
ويرفع عن مقلتيَّ الظُّلَمْ

– سعاد –

أتقسم أن لن تعود إليّ

– نزار –

وعينيك .. هل فوق هذا قسم؟

– سعاد –

تقبلني !.

– نزار –

مثلما قبّلتْ

شفاهُ الحجيج جدارَ الحرَمْ

« يعانقها ويدخل جميل وفي يده حقيبة صغيرة »

– جميل بذهول –

تبسَّمْ على الجرح يا خافقي

فقد وثب السهم من قوسهِ !

« نزار وسعاد يفترقان – يسقط الخاتم على الأرض »

– سعاد بذهول –

جميـل !

– نزار –

جميـل !

– جميل باسماً –

ألا رقصةٌ

على مأتم الحب أو عرسه ؟!

– جميل لنزار –

تراه خفوقاً على رجسه

أراه صريعـاً على قـدسه

ضعِ الزهر غضاً على مهده

وإن شئت ضعه على رمسه!..

– سعاد –

جميل حنانك ...

« ترتمي عليه ونزار مطرق »

– جميل بخبث –

يا نعمةً

أحبّ إلى المرء من نفسه

ألست عزائي إذا ما تألّب

بؤس الزمان على أنسه ؟!

– سعاد –

إلٓهي !

– جميل لنفسه –

« تخرج بذهول »

أيبكي امرؤ يومه

إذا غرس البغي في أمسه

« نزار يهم بالخروج »

نزار : إلى أين يا صاحبي

أطير تململ في حبسه !

علام الذهول ؟

– نزار –

ألا خلّه

يمزق روحي على ضرسه !

– جميل بخبث –

ألستَ صديقي وهل بيننا

حجابٌ تخاف أذى لمسه ؟

وماذا يضرُّ الكريمَ الوفيَّ

إذا شرب الصحبُ من كاسه؟

– نزار بصوت وحشي –

كفى ؛ لا تزد ...

« يخرج مشدوهاً »

– جميل بمضض –

يا لصرح المنى
أيقلعه الغدرُ من أسه ؟!

« يرى الخاتم على الأرض فيأخذه »

أفاعي الحياة ألا مزّقي
صدور الحنان ولا تندمي !

وُصي لعـــابك في طعنة
تئن اشتياقاً إلى بلسمِ

فعن كل نابٍ تفض الرُّقى
وتذهب بالألـــم المفعمِ

فسيبي على غيرتي إنهـا
تولول في أفقها المظلمِ !..

« يناجي الخاتم »

هو الثمنُ البخس، ردّ الهوى
ذبيحاً إلى قلبي المضرمِ !..

أخاتمُ ! إني أرى مبسماً
على شفتيه بقـــايا الدمِ !

وألمح أشباح بغي الورى
تمـــوّجُ في ماسك الأقتمِ

خيالُ الضحية يبكي عليك

ويشتم فيك فمَ المجرمِ !..

وما لفتة منك في خنصري

باهونَ من عضة الأرقمِ !..

« يلتفت يمنة ويسرة وينادي »

سعاد ! سعاد ! ألا تسمعين !

لقد بحَّ صوتي وجن النداءْ

« تدخل سعاد باكية »

أتبكين ؟ والهفتي للعيون

يكسّر أجفانهن البكاءْ !

دعينيَ أشرب هذي الدموع

تموج عليها طيوف الوفاءْ !!.

« يقبلها وهي تبكي »

كفى يا سعاد

– سعاد –

جميل اتئدْ

وردَّ بعفوك بعض العزاءْ

لقد ضقت ذرعاً بوخز الندامة

– جميل بكر –

شُلت يداها ؟!

– سعاد –

كفاكِ ازدراءْ !

خذِ القلبَ وامضغه يا قاتلي

بهذا التهكم والاجتراء !

– جميل بخبث –

معاذ الهوى، كيف أقسو عليك

وأقسو على كبرياء الوفاءْ ؟!

« ترى الخاتم في خنصر جميل »

– سعاد –

ألهي .. أخاتمه ؟

« تقعد على المقعد خائرة »

– جميل بخبث –

إنهضـــي
ولا تتركيني خدينَ الشقاءْ ؟

ففي جبهتي أنتِ أنتِ الخيال
وفي مقلتي أنتِ أنتِ الضياءْ !

ولولاك كنت طريدَ الحياة
أجوبالسرابسليبالرجاءْ !

– سعاد بتوسل –

جميل !..

– جميل –

مريني بمـــا ترغبين

ولا تمطريني بهذا الجفاءْ !

« يفتح الحقيبة ويخرج رداء منها »

سعاد ابسمي !

– سعاد بسكون –

ما أرى يا جميل ؟

– جميل –

رداء تحنّ إليه النساءْ !

لقد نسجته يـــدا فتنةٍ

على قـدك الغضّ

« يحرك الخاتم بخنصره »

– سعاد –

يا للسماء !

– جميل يتمتم –

عصارةُ فكري لقد بعتها
وجئت إليك بهذا الرداءْ

« يحرك الخاتم بخنصره »

– سعاد باضطراب –

جحيم الحياة !

« تنهض بجنون »

– جميل بسكون –

جرى سمها
يعيث بأحنائها كيف شاءْ...

« ترمي سعاد بنفسها من النافذة ، جميل يضحك
ضحكة وحشية ثم يجلس بسكون أمام
صورة فتاته ويبدأ بإتمامها »

– الستار –

١٩٣٥

لم تعرف الحبَّ ولم تستطبْ
في العمر ما طاب لكلِّ الحسانْ

قطَّعتُ أيام الصِّبا كلَّها
على هواها داميَ العنفوانْ

وسرتُ في الدنيـــا وأطيافها
أنَّى تلفَّتُّ قواصٍ دَوانْ

• • •

وزرتها أمسِ .. فقد قيل لي
موجعة أخنى عليها الزمانْ

ألفيتها تلفظ أنفاسها
ومقلتاها في المدى تسبحانْ

وحوّلتْ صوبي طرفيهما
كأنما بالصمت يستغفرانْ

خانتني الجرأةُ .. لم تختلجِ
على شفاهي همسةٌ من حنان

١٩٣٩

لمــن

لمن تعصر الروح يا شاعرُ..
أما لضـــلال المنى آخرُ

أللحب؟ أين التفات الفتون
إذا هتف الأمل العاثرُ

أللهـــو ؟ كم دمية صغتها
ومزّقها ظفرك الكاسرُ

ألِلمجد؟ ماذا يحس القتيل
إذا ازورَّ أو بسم العابرُ

أللخلد ؟ كيف ترد الذئاب
وقد عضّها جوعها الكافرُ

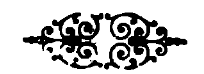
رويدك لا تسفحن الخيال
ببيداء ليس بها سامرُ

أما يرقص الكون في صمته
كما يرقص الحيةَ الساحرُ؟

دع الحلم يخفق في ناظريك
فموعده غدك الساخرُ

١٩٣٧

فهرست



تحت الطبع :

١ ـ ديوان عمر أبو ريشه (المجلد الثاني)
قصائد لم تنشر

٢ ـ مسرحية سميراميس

٣ ـ مسرحية تاج محل


ketab.me
Best Books